الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

محاضرات في صدر الإسلام والدولة الأموية

مطبوعة أكاديمية موجهة إلى طلبة السنة الثانية تاريخ ليسانس (ل م د)

إعداد أستاذ المقياس: د. محمد زرقوق

السنة الجامعية 2024-2025

مقدمة

تتناول هذه المحاضرات مقياس تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، وهي موجهة إلى طلبة السنة الثانية ليسانس، تخصص تاريخ. وتتطرق إلى الأحداث الأولى التي واكبت ظهور الإسلام، وتطور الدعوة الإسلامية منذ ظهورها في مكة المكرمة من سنة 53 ق. هـ. إلى 132 هـ/571-750م.

ويجمع هذا المقياس بين عصرين مختلفين:

الأول هو عصر صدر الإسلام الذي يمتد من بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى آخر أيام الخلفاء الراشدين، التي انتهت بمقتل الخليفة الرابع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عام 40 هـ، على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي الذي ينتمي إلى الخوارج. ولا بد من التمهيد لدراسة هذا العصر، بالتعرض إلى أوضاع العالم قبل ظهور الإسلام، والبحث في حياة العرب في العصر الجاهلي. لأن ظهور الإسلام يمثل ثورة شاملة مست جميع جوانب الحياة، ولا يمكن فهم هذه الثورة إلا بالتعرف على العصر الجاهلي، ثم التطرق إلى أهم التحولات السياسية والدينية والفكرية التي أعقبت البعثة النبوية. إذ نجح الإسلام في توحيد القبائل العربية التي أصبحت تدين بالإسلام، وتخضع لحكومة واحدة، دستورها القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، نجح المسلمون في إقامة نظام سياسي جديد يعرف بالخلافة، يعتمد على الشورى وليس على توارث مناصب الحكم، واستمر هذا النظام السياسي الفريد من نوعه آنذاك، من عهد أبي بكر الصديق إلى عهد علي بن أبي طالب، وهو العهد الذي يعرف في التاريخ الإسلامي بعهد الخلفاء الراشدين، الذين حكموا وفق الحدود الشرعية، وفتحوا الأمصار والبلدان ونشروا الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية. ولكن الفتن عصفت بهذه الدولة الناشئة في أواخر عهد عثمان بن عفان، وانتهت بمقتل علي بن أبي طالب سنة 40 هـ/661م.

والعصر الثاني، هو العصر الأموي الذي يمتد من تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، –مؤسس الدولة الأموية– وينتهي بمقتل الخليفة مروان بن محمد سنة 123هـ/ 750م، وبمقتله سقطت الدولة الأموية، وقامت على أنقاضها الخلافة العباسية. واستمدت الدولة الأموية اسمها من بني أمية —الأسرة القرشية العريقة– التي احتكرت السلطة السياسية، واقتصر الحكم بين أفرادها، وتحول فيها نظام الحكم من نظام قائم على الشورى إلى نظام قائم على ولاية العهد، أو على الوراثة، وصحب هذا التحول عدة مظاهر من الأبهة والجبروت. غير أن الأمويين تمكنوا من مواصلة عملية الفتوحات، فامتدت دولتهم من بلاد ما وراء النهر إلى إفريقية والأندلس.

وتعتبر المدة الزمنية المخصصة لهذا المقياس (15 محاضرة، ساعة ونصف لكل محاضرة،)، قصيرة جدا، فهي غير كافية للتطرق إلى تفاصيل جميع الأحداث المتعلقة بالسيرة النبوية أو بعد الخلفاء الراشدين أو العهد الأموي. وعلى الطلبة استدراك ذلك من خلال مطالعاتهم الشخصية، ومن خلال الأعمال التي يكلفون بإنجازها في الأعمال الموجهة.

الفصل الأول

المجتمع العربي قبل الدعوة الإسلامية

يجدر بنا قبل الحديث عن أحداث التاريخ الإسلامي ومختلف التفاصيل والتطورات المتعلقة بهذا المقياس، أن نعرف بشبه الجزيرة العربية التي هي الموطن الأصلي للعرب، ونقدم وصفا جغرافيا شاملا لهذه المنطقة وعن الشعوب التي سكنتها واستقرت فيه من حيث أصولها، وأوضاعها السياسية والاجتماعية والدينية قبل ظهور الإسلام.

تطلق كلمة عرب حاليا على سكان الأقطار والأوطان العربية الناطقة باللغة العربية، رغم تباين لهجاتهم المحلية واختلافها، ولكنهم جميعا يكتبون ويتخاطبون بلغة عربية فصيحة واحدة، أما اللهجات المحلية فرغم أنها تعود إلى أصل واحد هو اللسان العربي المذكور، فإنها تأثرت بألسنة القبائل، وبالألفاظ الأعجمية. وكلمة عرب ترجع إلى ما قبل الإسلام، ولا ترتقي عنه إلى عهد جد بعيد. ولعلماء اللغة العربية آراء في معنى ومفهوم كلمة عرب مسطورة في كتبهم اللغوية والأدبية، وفي معاجمهم، وكل آرائهم في تفسير هده الكلمة هي محاولة لإيجاد أصلها ومعانيها، دونت بعد ظهور الإسلام. وذهب بعضهم إلى أن "يعرب" هو أول من نطق بالعربية، وإليه ينسب اللسان العربي، وبعضهم يرجع اللغة العربية إلى أهل الجنة وإلى لسان آدم، ويقول آخرون أن إسماعيل هو أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه.[1]

أما عن وجود هذه الكلمة في اللغات القديمة، فقد وردت في عدة نصوص آشورية وبابلية وعبرانية، وفي بعض النصوص اليونانية مثل هيرودوت واسترابون، وكانوا يقصدون بها السكان البدو الذين يسكنون شبه الجزيرة العربية وبادية الشام.[2] واستعمل اليونان كلمة (Saraceni) و (Saracenes)، واستعملها اللاتين بهذه الصيغة (Saracenus) وذلك في معنى العرب. وشاع

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقي، (د. م)، 2001. ج1، ص 13-14.

[2] المرجع السابق، ص 21-22.

استعمال هذه الصيغة في العصور الوسطى حيث أطلقها النصارى على جميع العرب، وأحيانا على جميع المسلمين، واستخدموا أحيانا كلمة "الهاجريين" (Hagerne)، بل هي تستخدم في اللغة الإنجليزية بنفس المدلول حتى اليوم.[1] وقد حاول بعض الباحثين أن يجد أصلا أو سببا لهذه التسمية، فاختلفت آراؤهم وتباينت، ومال كثير منهم إلى أن الكلمة مركبة من "سارة" زوج النبي إبراهيم، ولفظ آخر ربما هو "قين"، فيكون المعنى "عبيد سارة"، متأثرين في ذلك برواية التوراة وبالشروح الواردة عنها.[2] وذهب آخرون إلى القول أن الكلمة مشتقة من (Saraka) بمعنى (Sherk) أي "شرق" وربما قصدوا بها سكان الصحراء أو أولاد الصحراء.[3] أما الفرس فقد أطلقوا على العرب تسمية أخرى هي (Tayayo) و(Taiy) ويبدو أنها أصلها كلمة طيء، اسم القبيلة العربية التي تنزل في البادية بالأراضي المتاخمة لحدود الإمبراطورية الفارسية، وكانت من أقوى القبائل العربية في تلك الأيام، فصار اسمها مرادفا لكلمة العرب.[4] كما وجدت في النصوص الفارسية القديمة كلمة "تاجك" (Tadjik) للدلالة على العرب، واستخدم الأرمن كلمة "تجك" (Tachik) في معنى عرب ومسلمين، وربما يعود أصل الكلمة إلى كلمة طيء.[5] وبعض هذ المفردات والتسميات لا تزال مستعملة إلى اليوم، ولكنها لم تنل الشهرة التي بلغتها "عرب" أو "العرب" التي صارت تدل على قومية وجنس محدد، له موطن معلوم، ولسان خاص به يميزه عن سائر الألسنة، من بعد الميلاد حتى اليوم.[6]

---

[1] جواد علي، مرجع سابق، ص 27.

[2] المرجع السابق، ص 27-28.

[3] المرجع السابق، ج1، ص 28.

[4] المرجع السابق، ص 31.

[5] المرجع السابق، ص 32.

[6] المرجع السابق، ص 32-33.

1- بلاد العرب

اصطلح المؤرخون والدارسون على تسمية بلاد العرب بشبه الجزيرة العربية، رغم أن العرب لم يسكنوها وحدها، فقد كان لهم مساكن فيما حولها، ولكن كانت شبه الجزيرة مسكن أكثرهم، فأضيفت إليهم.[1]

تقع شبه الجزيرة العربية في الجنوب الغربي من قارة آسيا، وتحيط بها المياه من ثلاث جهات، ومع ذلك لم تستطع تلك المسطحات المائية أن تخفف من حدة الحرارة فيها، والتغلب على جفافها، ولا يتمكن بخار الماء المتصاعد منها من التوغل إلى الأقاليم الداخلية لإنزال الغيث فيها.[2] يحدها الخليج العربي وبحر عمان شرقا، والمحيط الهندي جنوبا، والبحر الأحمر غربا، وبادية الشام شمالا. أما فلكيا فهي تقع بين خطي طول 34 و58 شرقا، وبين دائرتي عرض 32 درجة شمالا و12 درجة جنوبا. وتقدر مساحتها بحوالي ثلاثة ملايين كيلومتر مربع، وهي بذلك أكبر شبه جزيرة في العالم.

وهذه الأرض في مجملها صحراء شاسعة، ولكنها مختلفة في مظهرها العام، فبعضها مغطى بالكثبان الرملية، وبعضه الآخر بالجبال والهضاب، كما أن بعضه منخفض وبعضه الآخر نجْد مرتفع.[3] وهي أكثر ارتفاعا في الجهات الغربية، ثم تأخذ في الانحدار إلى الشرق إلا عند عمان، وأنهارها ليست دائمة الجريان، فهي أودية يجري فيها الماء حينا ويجف حينا.

ويمكن التمييز في هذه الصحراء الشاسعة بين ثلاثة أنواع من المظاهر هي:

1- الصحراء التي يسميها العرب "بادية السماوة"، تقع في شمال شبه الجزيرة العربية بين الكوفة والشام، وتعرف اليوم باسم "صحراء النفود" هي أرض مستوية لا حجر بها، وليس فيها إلا قليل من آبار وعيون، والسير فيها شاق عسير لطبيعة أرضها، ورغم مناخها الجاف، فإن الأمطار النادرة التي تتساقط في واحاتها القليلة تكفي لنمو بساط من الخضرة يحولها إلى مراعي خصبة للإبل

[1] أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط 10، بيروت، 1969. ص 1.

[2] جواد علي، مرجع سابق، ج 1، ص 140.

[3] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، ط14، بيروت، 1996. ج 1، ص 9.

والأغنام التي يرعاها البدو الرحل.[1] وإلى الجنوب من بادية السماوة، يوجد جبل شمر، وهو هلالي الشكل ومناخه معتدل، وأكثر مطرا ونباتا من الصحراء المحيطة به، الأمر الذي ساعد على نشأة ونمو عدة مدن وقرى. ويعرف هذا الجبل عند العرب بجبل طيء.[2]

2- صحراء الجنوب، تمتد من بادية السماوة في الشمال إلى الخليج العربي شرقا، وتعرف الآن باسم"الربع الخالي".[3] أرضها غالبا مستوية صلبة، تتخللها بعض مساحات رملية حمراء متموجة. إذا نزل المطر في موسمه أنبتت الأرض كلأ، فيخرج إليها البدو بإبلهم وماشيتهم، ويقيمون فيها ثلاثة أشهر، ويهجرونها صيفا لأنها تتحول إلى أراضي قاحلة خاوية تكاد أن تكون خالية من الحياة.[4]

3- صحراء الحرار أو الأرض البركانية التي تكونت بفعل البراكين سواء فجوات البراكين نفسها أو حممها التي كانت تقذفها ثم بردت وكونت ركاما من الحجارة البركانية يغطي الأرض بطبقات سميكة، وقد تكون رقيقة. تبتدئ من شرق حوران وتمتد منتشرة إلى المدينة. ووصفها ياقوت الحموي بقوله: "أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار"،[5] وتكثر الحرار في شبه الجزيرة العربية، وبعضها يوجد حول المدينة، ومنها حرة النار في عهد الخليفة عمر بن الخطاب كانت لا تزال ثائرة تخرج النار منها، وقد ذكر أن سحب الدخان كانت تخرج في عهد الخليفة عثمان بن عفان من بعض الجبال القريبة من المدينة، وهذا يدل على أن فعل البراكين في جزيرة العرب، لم يكن قد انقطع انقطاعا تاما، وأن باطن الأرض، كان ما زال مضطربا لم يهدأ.[6]

ويقسم الجغرافيون شبه الجزيرة العربية بحسب طبيعتها إلى خمسة أقسام هي:

---

[1] أحمد أبو ضيف مصطفى، دراسات في تاريخ الدولة العربية عصور الجاهلية والنبوة والراشدين والأمويين، (1-132هـ/622-749م)، دار النشر المغربية، ط 4، الدار البيضاء 1986. ص 44.

[2] نفسه.

[3] حسن علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام الجاهلية – الدولة العربية –الدولة العباسية، مكتبة النهضة المصرية، د ت، د م، ص 18.

[4] أحمد أبو ضيف، مرجع سابق، ص 44.

[5] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2008. مج 2، ص 138.

[6] أحمد أبو ضيف مصطفى، مرجع سابق، ص 45.

1. تِهامة: من التهم وهو شدة الحر وركود الريح، وهي الأرض الواطئة الممتدة بمحاذاة ساحل البحر الأحمر من ينبع إلى نجران في اليمن؛ وسميت بهذا الاسم لشدة حرها وركود ريحها. وتسمى الغور أيضا لانخفاض أراضيها عن أرض نجد.

2. نجد: ويمتد بين اليمن جنوبا وبادية السماوة شمالا والعروض وأطراف العراق، وسمي نجدا لارتفاع أرضه

3. الحجاز: وهو إقليم جبلي، يقع غربي شبه الجزيرة العربية تجاه البحر الأحمر، يمتد شمالا من أيْلة (وهي المعروفة اليوم بالعقبة) في الشام، إلى نجران في اليمن جنوبا، وقد سمي حجازا لأنه يفصل تِهامة عن نجد. تتخلل هذه السلسلة الجبلية أودية كثيرة، تجري بها مياه غير غزيرة بعد سقوط المطر، وتصب في البحر الأحمر. وفي هذا الإقليم تقع المدينتان المقدستان: مكة المكرمة وهي في واد غير ذي زرع، وليس بها ماء إلا بئر زمزم؛ والمدينة المنورة واسمها يثرب، وفي شماليها جبل أحد، وبها نخل كثير، وفي شماليها الشرقي خيبر، وأرضها لا تصلح للزرع. وأهمية الحجاز نشأت من وقوعه على الطريق التجاري الذي يربط بين اليمن ببلاد الشمال.[1] وقد هاجر إليه جماعات وقبائل يهودية قبل الإسلام، وأنشأوا فيه مستوطنات في خيبر والمدينة وغيرهما.[2]

4. اليمن: ويمتد من نجد إلى المحيط الهندي جنوبا والبحر الأحمر غربا، ويتصل به من الشرق حضرموت والشحر وعمان، وكانت بلاد اليمن وحضرموت في الجنوب ميدانا للحروب الداخلية والفتن الأهلية، ففنيت منها سلالة التبابعة الذين بنوا مأرب وقصور غمدان وظفار،[3] وأقاموا سد مأرب لحفظ مياه الأمطار والأودية.

ومناخ جزيرة العرب –على العموم– حار شديد الحرارة، يعتدل الليل في أراضيها المرتفعة صيفا ويتجمد ماؤها شتاء؛ وأحسن هوائها الرياح الشرقية وتسمى الصبا، وكثيرا ما تغنى الشعراء بها.

---

[1] أحمد أمين، مرجع سابق، ص 3.

[2] سوسة أحمد، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001. ص 210.

[3] حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ج 1، ص 10.

وعلى العكس من ذلك ريح السموم؛ وأحسن أيامها أيام الربيع، وهي تعقب موسم المطر فينبت الكلأ والعشب، وترعى الإبل والماشية.[1]

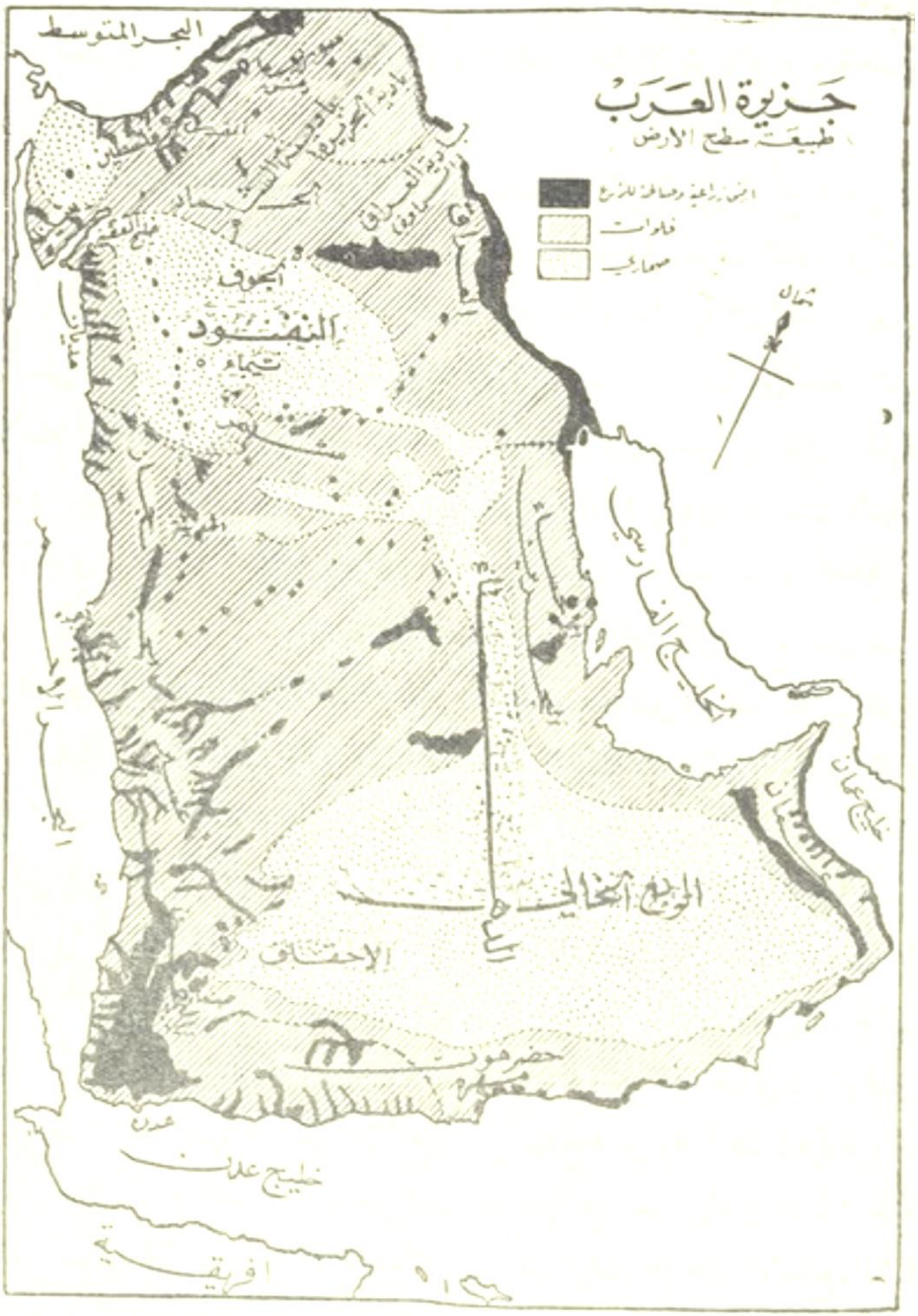

[1] أحمد أمين، مرجع سابق، ص 4.

خريطة تمثل تضاريس شبه الجزيرة العربية[1]

يسكن هذه الجزيرة العرب، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن العرب ومن حولهم كانوا من أصل واحد، ثم تحضر من حولهم وتخلفوا هم، وقد تحضر سكان الفرات، وتحضر وادى النيل، وظل العرب تغلب عليهم البداوة لما حاصرتهم جبالهم وبحارهم.[2]

وسواء صح هذا أم لم يصح فقد تأخر العرب عمن حولهم في الحضارة، وغلبت عليهم البداوة، وعاش أكثرهم عيشة قبائل رحل، لا يقرون في مكان، ولا يتصلون بالأرض التي يسكنونها اتصالا وثيقا كما يفعل الزراع، بل هم يتربصون مواسم الغيث، فيخرجون بكل ما لهم من نساء، وإبل يتطلبون المرعى، لا يبذلون جهداً عقلياً في تنظيم بيئتهم الطبيعية كما يفعل أهل الحضر، إنما يعتمدون على ما تفعل الأرض والسماء فإن أمطروا رعوا، وإلا ارتقبوا القدر، وليس هذا النوع من المعيشة بالذي يرقى قومه ويسلمهم إلى الحضارة، إنما يسلم إلى الحضارة عيشة القرار واستخدام العقل في تنظيم شؤون الحياة.[3]

2- أصول العرب

إن العرب أحد الشعبين الباقيين اللذين يمثلان الجنس السامي، فقد احتفظوا أكثر من اليهود بالمميزات الطبيعية والخاصيات العقلية لهذا الجنس. وأما لغتهم فعلى الرغم من أنها أحدث اللغات السامية آدابا، فإنها قد احتفظت بخصائص اللسان السامي الأصلي –بما في ذلك التصريف- أكثر مما احتفظت العبرية وأخواتها من اللغات السامية الأخرى. من هنا كانت اللغة العربية أحسن مدخل لدراسة اللغات السامية. وكذلك بلغت الديانة السامية في الإسلام كمالها الطبيعي.[4] والسبب في أن عرب الجزيرة والبدو منهم بنوع خاص هم خير من يمثل السلالة السامية من النواحي البيولوجية

---

[1] فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 1949. ص 18.

[2] أحمد أمين، مرجع سابق، ص 4.

[3] نفسه

[44] أحمد أبو ضيف مصطفى، مرجع سابق، ص 47.

والنفسية والاجتماعية واللغوية راجع إلى انعزالهم الجغرافي واتساق الحياة المطرد في الصحراء، فكأن النقاوة السلالية هي المكافأة التي تمنحها البيئة المقفرة الشديدة النكران كتلك التي في أواسط جزيرة العرب.[1]

يُنسب العرب عند بعض النسابين والإخباريين العرب إلى النبي إسماعيل، وعند البعض منهم إلى يعرب، ويصعب إثبات ذلك تاريخياً. وأقدم ذكر للفظ عرب يعود لنص آشوري من القرن التاسع قبل الميلاد، وحسب نظرية أكثرية الباحثين فإنَّه يعني أهل البادية، في اللغة الآشورية وعدد من اللغات السامية الأخرى البادية المقصودة هي بادية الشام في جنوب الهلال الخصيب وامتدادها، لتشمل اللفظة شبه الجزيرة العربية برمتها.[2]

أصول العرب عمومًا ترجع لشبه الجزيرة العربية، ويرى كثير من الباحثين أن العرب والساميين عمومًا من الشعوب التي خرجت من شرق شبه الجزيرة العربية. بينما تقول دراسات حديثة أخرى أن أرض بابل بالعراق، كانت المهد الأول لأبناء سام، وذهب فريق من الباحثين في الأجناس البشرية إلى القول أن إفريقية هي أول موطن للشعوب السامية لوجود صلات بين اللغات السامية والحامية، وذهب آخرون إلى تفضيل أرض أرمينية على المناطق الأخرى المذكورة. وهكذا فلا يوجد إجماع بين الباحثين والعلماء حول الموطن الأول للشعوب السامية التي ينتمي إليها العرب، ولكل فريق حججه وبراهينه.[3]

ويذكر ابن خلدون في كتاب العبر، أثناء حديثه عن أول أجيال العرب فيقول: "إنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيمين ثم كان لكل

[1] أحمد أبو ضيف مصطفى، مرجع سابق، ص 48.
[2] جواد علي، مرجع سابق، ج 1، ص 16.
[3] المرجع السابق، ص 229؛ أحمد أبو ضيف مصطفى، ص 48-50.

فرقة منهم ملوك وآطام وقصور ... فعاد وثمود والعماليق وأُميم وجاسم وعبيل وجديس وطسم هم العرب".[1]

3 – أقسام العرب

صنّف معظم علماء الأنساب والإخباريين الشعوب العربية في قسمين كبيرين: بائدة وباقية.

القسم الأول العرب البائدة: ويُعنون بهم، القبائل العربية القديمة التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية ثم بادت قبل الإسلام، وانقرضت أخبارها ودرست آثارها، ولم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم،[2] ولا نعرف عنهم شيئاً إلا ما ورد في الكتب السماوية والشعر العربي كأخبار عاد وثمود. ومن أشهر قبائلهم عاد، وثمود، وعمليق، وطَسْم، وجديس، وجرهم الأولى، وأُمَيْم، وعُبَيْل، وجاسم، ويرجعون بنسبهم إلى جدهم الأول سام بن نوح.[3] والجدير بالذكر أن هلاك العرب البائدة كان بسبب كوارث طبيعية نزلت بهم مثل الجفاف الطويل الذي أدى إلى هلاك الحيوان وجوه الإنسان، واضطراره إلى ترك موطنه والهجرة إلى مكان آخر يتوفر على الكلأ والماء وقوما يسمحون لهم بالنزول في جوارهم إما كرها لقوته وتغلبه، أو صلحا بأن يسمح الأقدمون له بالنزول معهم في أرضهم لاتساع الأرض وللفائدة المرجوة للطرفين. وقد يندمج مع القبائل وبمرور الوقت يلتحق بها في النسب والعصبية، فيندثر وينطمر الاسم القديم للقبيلة. وقد تكون الكارثة ثوران بركان، أو هبوب عواصف شديدة عاتية تستمر أياما، أو زلازل، مما يلحق بالإنسان والحيوان أذى كبير. ومن هنا ورد ذكر هذه الكوارث في القرآن الكريم كعقاب لتلك الأقوام والقبائل.[4]

---

[1] ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، 1983. مج 2، ق 1، ص 34.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 34.

[3] حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ج1، ص 13.

[4] جواد علي، مرجع سابق، ج1، ص 353.

وأمّا القسم الثاني: فهم العرب الباقية، الذين يُعتبرون العرب الباقين الذين يُشكلون جمهرة العرب بعد هلاك الطبقة الأولى، وهم الذين كُتب لهم البقاء، وينتمي إليهم كل العرب الصرحاء عند ظهور الإسلام. وهم ينقسمون إلى فرعين:

الفرع الأول: العرب العاربة، هم بنو يعرب بن قحطان، وأسلاف القحطانيين، ينتسبون إل جدهم الأول الذي هو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح حسب رأي النسابين. وموطنهم اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية، ولذلك يقال لهم عرب الجنوب، ويعرفون أيضا باليمنية والسبائية،[1] وقد أخذ هؤلاء العربية عن العرب البائدة. ويذكر بعض الرواة أن قحطان وجماعته تعربوا عندما نزلوا اليمن، واختلطوا بالناس هناك، وينسبون إليه من الأبناء يعرب الذي كان يتكلّم السريانية، فانعدل لسانه إلى العربية، فتعرّب. ويزعم بعض الرواة أن العربية تنسب إليه، وهو اول من أعرب في لسانه، ولهذا قيل للسانه العربية، ويدعون أيضا أنه هو الذي جاء بعشيرته وأبنائه إلى اليمن، فأسكنهم بها.[2] ومن أشهر قبائلهم جرهم ويعرب، ومن يعرب تشعبت القبائل والبطون من فرعين كبيرين هما: كهلان وحمير. وأشهر بطون حمير قضاعة، ومن فروع قضاعة: بلّى، وجهينة، وكلب، وبهراه، وبنو نهد، وجرم. وأشهر بطون كهلان: الأزد، وطيء، ومذحج، والنخع، وعنس، وهمدان، وكندة، ومراد، وأنمار، وجذام، ولخم.

وقد أخذ اليمنيون بأسباب الحضارة فقامت لهم عدة ممالك أشهرها: معين وسبأ وحمير وغيرها. ومن معالم حضارته سد سبأ الذي أقاموه لحفظ المياه، والاستفادة من مياه الأمطار الكثيرة، وهو يسمى العرم بلسانهم، وقد تحولت أراضيهم بتنظيم الري في هذه البلاد إلى جنات، كما فصل القرآن الكريم في ذلك في سورة سبأ. ولما أخذت بلاد اليمن في الانحطاط، وعجز أهلها عن إصلاح السد الذي أقامه أسلافهم، فانكسر السد، وتفرقوا في شتى أنحاء الجزيرة العربية.[3]

---

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 84.

[2] جواد علي، مرجع سابق، ج 1، ص 358-364؛ حسن إبراهيم حسن، ج 1، ص 13.

[3] حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ج 1، ص 13.

الفرع الثاني: العرب المستعربة ويقال لهم العرب المتعربة أيضا؛ ولم يكونوا عربا فاستعربوا؛ لأن جدهم الأول الذي ينحدرون منه، وهو النبي إسماعيل –عليه السلام– عندما أنزله أبوه إبراهيم –عليه السلام– بمكة كان يتكلم العبرانية أو السريانية، أو الآرامية أو الكلدانية، فلما نزلت قبيلة جرهم القحطانية اليمنية بمكة، لوجود ماء زمزم، وسكنوا مع إسماعيل وأمه هاجر، تزوج منهم وتعلم هو وأبناؤه العربية، ورزق بإثني عشر ولداً، تفرعت منهم بطون كثيرة، فسموا بذلك العرب المستعربة. فهؤلاء من نسل إسماعيل بن إبراهيم، ويعرفون أيضا باسم العدنانيين أو النزاريين أو المعديين. وموطنهم وأواسط شبه الجزيرة العربية، نجد، ومكة وما جاورها من بلاد الحجاز، وتهامة إلى بادية الشام في الشمال، ولذلك يقال لهم عرب الشمال.[1] ويقسم النسابون العرب المستعربة أو العرب العدنانية إلى فرعين كبيرين هما: ربيعة ومضر. فأشهر قبائل ربيعة: عبد القيس بن قصي، وبكر، وتغلب، وأسد، ووائل، وحنيفة. ومن أشهر قبائل مضر: قيْس عيْلان، تميم، هذيل، كِنانة، وإلياس بن مضر، ومنه جاءت قريش ومنها عبد مناف، ومن عبد مناف أربع فصائل: عبد شمس، ونوفل، وعبد المطلب، وهاشم. وبيت هاشم هو الذي كان منه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم. والعباسيون أولاد عباس بن عبد المطلب، والعلويون أولا علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب، أما الأمويون فهم ينتسبون إلى معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. ويذكر النسابون أنه لما تكاثر أولاد عدنان الذي هو أحد أحفاد إسماعيل، ورأوا أن البلاد التي نشؤوا فيها قد ضاقت بهم، تفرقوا وأخذوا يهجرونها ملتمسين مواقع المطر ومنابت العشب والزرع.[2] وقد كان بين ربيعة ومضر عداء شديد ظل قرونا طويلة أدى إلى أن ربيعة غالبا كانت تتحالف مع اليمنيين لمقاتلة المضريين.[3]

---

[1] حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ج 1، ص 13.

[2] أحمد أبو ضيف مصطفى، مرجع سابق، ص 52.

[3] أحمد أمين، مرجع سابق، ص 7–8.

والواقع أن هذا التقسيم بين العرب العاربة والعرب المستعربة مردّه ما ورد في التوراة، وقد نهل منه من عُني بأخبار بدء الخلق، ثم اتفق النسابون والإخباريون على تقسيم العرب من حيث النسب إلى قسمين: سبئية قحطانية، منازلهم الأولى في اليمن، وعدنانية إسماعيلية، منازلهم الأولى في الحجاز. بالمقابل لم يُفرّق القرآن بين العرب في طبقاتهم، ولم يرد في الشعر الجاهلي ما يُشير إلى تقسيم العرب إلى قحطانية وعدنانية سوى أبيات قيلت في التفاخر بقحطان أو بعدنان، ثم إن هذا الشعر لا يرقى إلى عصر الجاهلية الأولى؛ لأن معظمه قيل قبيل الإسلام، كما أن علماء الأجناس لم يلاحظوا فروقًا جسمانية بين القحطانيين والعدنانيين. ولم يظهر هذا الانقسام في حياة النبي محمد ولا أثناء عصر صدر الإسلام، وعهد الخلفاء الراشدين وإنما برز في العصر الأموي من واقع النزاع الحزبي وبعد شيوع نظرية العهد القديم في الأنساب واستناد النسابين في رواياتهم إلى أهل الكتاب.[1]

4 – العصر الجاهلي

اصطلح المؤرخون على تسمية تاريخ العرب في شبه الجزيرة العربية قبل نزول الإسلام بالعصر الجاهلي، وذهبوا إلى أن العرب كانت تغلب عليهم البداوة، وتخلفوا عن الشعوب والأمم الأخرى التي سبقتهم أو عاصرتهم. وكان أغلب العرب يعيشون عيشة قبائل رحل، في جهل وغفلة، لم تكن لهم دول أو كيانات سياسية قائمة، ولم تكن لهم علاقات بدول العالم، جلهم أميون، يعبدون الأصنام، ليس لهم تاريخ حافل، لذلك عرفت تلك الحقبة التي سبقت الإسلام عندهم بالجاهلية.[2]

والجاهلية، مصطلح مستحدث، ظهر بظهور الإسلام، وقد أطلق على عصر ما قبل الإسلام تمييزا وتفريقا لها عن الحالة التي صار عليها العرب بظهور الرسالة. فهي إذن نعت إسلامي من نوع النعوت التي أطلقها المسلمون على ذلك العهد، كما تطلق اليوم نعوتا وأسماء على العهود الماضية

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 34؛ جواد علي، مرجع سابق، ص 410.

[2] جواد علي، مرجع سابق، ص 37.

التي يثور الناس عليها. وفي كثير من تلك التسميات ما يدل ضمنا على شيء من الازدراء والاستهجان للأوضاع السابقة في غالب الأحيان.[1]

وقد ورد مصطلح الجاهلية في عدة آيات من القرآن الكريم، هي:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.[2]

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.[3]

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.[4]

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.[5]

إن تدقيق النظر في هذه الآيات يبين أن المعنى المقصود بالجاهلية ليس هو الجهل ضد العلم، ولكنه الجهل الذي هو السفه والغضب والأنفة،[6] ورغم ذلك فقد اختلف الناس في فهم مصطلح الجاهلية، فهي عند بعضهم من الجهل الذي هو ضد العلم أو عدم اتباع العلم، ومن الجهل بالقراءة

---

[1] المرجع السابق، ج 1، ص 37.

[2] سورة آل عمران، الآية 25.

[3] سورة المائدة، الآية 50.

[4] سورة الأحزاب، الآية 33.

[5] سورة الفتح، الآية 26.

[6] حسن علي إبراهيم، مرجع سابق، ص 22.

والكتابة، وفهمها آخرون أنها من الجهل بالله وبرسوله وبشرائع الدين وباتباع الوثنية والتعبد لغير الله، وذهب آخرون إلى أنها من المفاخرة بالأنساب والتباهي بالأحساب والكبر والتجبر وغير ذلك من الخلال التي كانت من أبرز صفات الجاهليين.[1]

والراجح ان الجاهلية من السفه والحمق والأنفة والخفة والغضب وعدم الانقياد لحكم وشريعة وإرادة إلهية وما إلى ذلك من حالات انتقصها الإسلام. وفي أيامنا هذه عادة ما تطلق كلمة جاهل على من يتسفه ويتحمق وينطق بكلام لا يليق صدوره من رجل، فلا يبالي أدبا ولا يراعي عرفا، وتطلق أيضا على من لا يهتم بمجتمع ودين، ولا يتورع من النطق بأفحش الكلام، وربما يكون الذي تطلق عليه متعلما، أو حاملا لشهادة عليا.[2]

والحقيقة أن مصطلح الجاهلية لا يطلق على العرب دون غيرهم من الشعوب الأخرى، بل يطلق اصطلاح العصر الجاهلي على حال الأمم قبل الإسلام تمييزاً وتفريقاً مع العصر بعد البعثة النبوية وظهور الإسلام.[3] فلقد كان الناس في بلاد فارس يعبدون النار، وكان أهل اليمن يعبدون النجوم والأوثان ويقدمون لها القرابين، وانحرفت اليهودية في الحجاز كما انحرفت النصرانية في الشام والحبشة، وغيرها من الأديان والملل المتفرقة هنا وهناك. وكان يسود الحكم القسري المطلق، حتى جاء الرسول محمد برسالة الإسلام لينتشل الأمم من هذه الحالة، فراسل ملوك الحبشة وفارس والروم، ودعاهم إلى دين الله؛ ليحررهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

كانت الحياة الاجتماعية تختلف من بلد إلى اخر، فقد ترسخت العبودية في بلاد فارس من خلال تأليه الحاكم، وكان المجتمع الفارسي مقسما إلى سبع طبقات، كانت أدناها طبقة عامة الشعب، ولم تكن لهم أية حقوق على الإطلاق، حتى إن الجنود كانوا يربطون بالسلاسل في المعارك. وكان أهل فارس على المجوسية وكانت النار آلهتهم الرئيسية، فيصلون في معبد النار بحضور شكل

[1] جواد علي، مرجع سابق، ج 1، ص 38.

[2] جواد علي، مرجع سابق، ص 40.

[3] حسن علي إبراهيم، مرجع سابق، ص 23.

من أشكالها، إذ تعتبر النار وسيطا تكتسب من خلاله البصيرة الروحية والحكمة، ويعتبر الماء مصدر تلك الحكمة، ويشار أيضا إلى النار والماء على أنهما الآلهتان "أتار" و"أناهيتا" اللتان كرست شعائر وتراتيل العبادة من أجلهما. وكان أهل العراق في عمومهم منقسمين إلى مجوس وصابئة، وإن كان دين أهل الحيرة هو (النسطورية) سميت هذه العقيدة باسم نسطور بطريرك القسطنطينية.

وقد كان بعض أهل فارس يبيحون الزواج من داخل الأسرة، مدعين أنه تقليد ديني إلزامي، وعلاوة على ذلك ادعى الكهنة أن الزواج بين المحارم ينتج أقوى الذكور، وإناثا ذوات خصال حميدة، ويأتي بأكبر عدد من الأطفال، وأنها محمية لنقاء الجنس.[1] ومصدر هذه التعاليم هو الدين القديم للفرس والمرتبط تقليديا بالزرادشتية التي تقول أن العالم هو ساحة قتال وصراع دائم بين الأرواح الخيرة والأرواح الشريرة حيث ينتصر الخير في النهاية.[2] إضافة إلى المانوية التي حرمت الزواج ودعت إلى التنسك والعفة والرهبنة والطعام النباتي،[3] والمزدكية التي اشتهر صاحبها مزدك بالدعوة إلى الملكية المشاعة للممتلكات، والنساء؛ لأنهما أسباب النزاع بين الناس.[4]

واليهودية التي كانت منتشرة قبل الإسلام، فقد تعرضت إلى تشويه كبير من طرف الأحبار، والحاخامات الذين كتبوا التلمود الذي هو في الأصل تفاسير رجال الدين اليهود لآيات التوراة.[5] لأن التوراة كتبت في زمن متأخر بعد موسى عليه السلام ما يدعو إلى الشك كثيرا في جملة ما احتوته التوراة في شكلها الحال. ويتصور اليهود في عقيدتهم المشوهة أن الله يقوم بأعمال الإنسان وحركاته بل انه يأكل ويشرب ويصارع التنين ... ويخطئ ويصيب لا بل إنه كثير الخطأ.[6] وقد حرمت اليهودية الطلاق ولكنها أجازت الزواج ببعض الأقارب المحرمين في الإسلام. ولم تكن اليهودية كثيرة الانتشار

---

[1] هوما كاتوزيان، الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى، ترجمة أحمد حسن المعيني، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2014. ص 16-18.

[2] حوراني ألبرت، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة نبيل صلاح الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997. ص 35.

[3] هوما كاتوزيان، مرجع سابق، ص 82.

[4] المرجع السابق، ص 85.

[5] طعيمة صابر، التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، ط 3، بيروت، 1991. ج 1، ص 111.

[6] المرجع السابق، ص 101، 112.

لأن أتباعها لم يعملوا على نشرها، وهي في الواقع –بعد تحريفها– لا تستجيب لمتطلبات المجتمع البشري من حيث ضيق معتقداتها ومبادئها، كما هو الحال في الصوم وتحريم أنواع من الأطعمة والطبخ في بعض الأعياد، وهذا ما لا يقبله الناس.[1]

وفي بلاد الروم والحبشة كانت أكثريتهم على النصرانية، وعلى الرغم من أن النصرانية كانت دين ملوك الحبشة، إلا أن الوثنية كانت أيضا متواجدة في قبائل الحبشة. وكانت المسيحية تعاني من نزاع بين أتباعها حول طبيعة المسيح الإلهية والناسوتية، أهو ذو طبيعة واحدة أم ذو طبيعتين. فقالت طائفة منهم (الغناطسة أو الادريين) بأن المسيح لم يظهر في هذا العالم في التجسيد بل في شكل روحاني فقط، واعترفوا بظهوره وتعليمه لتلاميذه. ثم ظهر آريوس (هو أحد كهنة كنيسة الإسكندرية) الذي قال أن المسيح لم يكن إلها بل هو كائن وسط بين الله والإنسان شبه إله خلق منذ البدء. ما أدى إلى عقد مجمع مسكوني في نيقية سنة 325 م وقد حضره 118 أسقفا وتقرر فيه اعتبار آريوس هرطقيا أو زنديقان فأبعد مع أتباعه وأحرقت كتبه.[2]

ثم ظهر نسطوريوس (بطريق القسطنطينية) الذي أعلن في أحد خطبه "أنه لا ينبغي لأحد أن يدعو مريم أم الله، ذلك أن مريم ليست غير امرأة، وأن الله لا يمكن أن تلده امرأة من البشر، وإنما هي أم المسيح، وليست أم الله، وبهذا التصريح أقام الدنيا وأقعدها؛ لأن زعماء الكنيسة يؤمنون بعبادة مريم العذراء. فانعقد مجمع إفسوس سنة 431م، حضره نحو 200 أسقفا، وصدر فيه حكم بإدانة نسطوريوس وببطلان نظريته وطرده من الأسقفية ومن جميع وظائفه الكنسية.[3]

وفي سنة 451م انعقد مجمع آخر في خلقدونية لمناقشة موضوع طبيعة المسيح هل هو من طبيعة واحدة أو من طبيعتين ما أدى إلى انقسام كنيسة القسطنطينية عن كنيسة روما. ثم انفصلت

---

[1] أنظر بعض شرائع اليهود الواردة في التلمود، في: ديورانت ول وايريل، قصة الحضارة، عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 1992. ج 3، مج 4، ص 17 وما بعدها.

[2] رستم سعد، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، الأوائل للنشر والتوزيع، ط 2، دمشق، 2005. ص 23-26.

[3] المرجع السابق، ص 25-26.

عن كنيسة القسطنطينية الكنيسة الأرمينية والسورية والمصرية ... وتعرض أتباع الطبيعة الواحدة إلى الاضطهاد والمتابعة.[1]

هذا فضلا عن بعض المعتقدات الوثنية والشركية التي كانت سائدة في الهند والشرق الأقصى مثل الصائبة المندائيين، والهندوسية، والبوذية والكنفوشسية.[2]

وفي شبه الجزيرة العربية فكانت الديانات متعددة، وهي الحنيفية واليهودية والوثنية والمسيحية،[3] وكانت متوزعة بين الأقاليم، "كانت أديان العرب مختلفة بالمجاورات لأهل الملل والانتقال إلى البلدان والانتجاعات".[4] فكانت بعض قبائل اليمن تدين باليهودية،[5] والقبائل الأخرى تدين بالوثنية بما في ذلك تقديس الظواهر الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم والكواكب، وكانت ملكة سبأ وقومها من جملة من عبدوا الشمس وسجدوا لها، بدليل ما ورد في القرآن الكريم عنها: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (24)}،[6] ومنهم من كان يعبد نجما يسمى "الشعرى".[7]

أما في الحجاز فكانت أغلب القبائل العربية على الحنيفية، وكانت لهم شرائع وأعراف خاصة بهم، كتحريم أكل الميتة والزنا والخمر، ويوجبون الختان للذكر والأنثى، ويحرمون على الرجل الجمع

---

[1] حوراني ألبرت، مرجع سابق، ص 34-35.

[2] حول هذه المعتقدات أنظر: التميمي مهدي حسين، موسوعة مقارنة الأديان السماوية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2004. ص 32 وما بعدها.

[3] حسن علي إبراهيم، مرجع سابق، ص 125.

[4] اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن، 1883. ج 1، ص 294.

[5] المصدر السابق، ج 1، ص 227.

[6] سورة النمل، الآيات 20-24.

[7] جواد علي، مرجع سابق، ج 6، ص 58.

بين أكثر من زوجتين، أسوة بإبراهيم.[1] أما يهود الحجاز كبني قينقاع، وقريظة، والنضير، فلهم طرقهم وشرائعهم وقوانينهم، وكانت تقام بينهم وبين العرب الحنفاء مناظرات في سوق عكاظ. وكانت قبائل خزاعة قد مزجت بين اليهودية والوثنية.[2] ومن أشهر الأصنام التي عبدها العرب: اللات ومناة والعزى وهبل، لاعتقادهم أنها تقربهم إلى الله تعالى (لأن الله عظيم، فيجب باعتقادهم أن تكون هناك واسطة بين العبد وربه) وقد كان عمرو بن لحي الخزاعي هو أول من نصب هذه الأصنام في الحجاز،[3] وإذا كان الأولون يعترفون لله بالألوهية والربوبية الكبرى، ويكتفون بالشفعاء والأولياء،[4] فإن الاخرين يشركون آلهتهم مع الله، ويعتقدون فيهم قدرة ذاتية على الخير والشر، والنفع والضر، والإيجاد والإفناء، مع معنى غير واضح عن الله كإله أعظم ورب الأرباب.

5- الحالة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام

ينقسم سكان شيه الجزيرة العربية إلى قسمين رئيسيين بدو رحل، وحضر مقيمين. البدو هم سكان البادية الذين يسكنون الخيام ويتنقلون من مكان إلى اخر سعيا إلى المرابع الخضراء انتجاعا لما فيها من ماء وكلأ. وقد أطلق العرب قديما على أهل البادية ألقابا كثيرة، منها: أهل الوبر، والرحل، والأعراب وهو لقب للبدو الذين جاوروا حواضر العرب وتنقلوا بديارهم وتحدثوا بلسانهم). والأعرابي هو المقيم في البادية ويسكن الخيام ولا يستقر في موضع معين، ويجاور حواضر العرب، والمجتمع البدوي بصفة عامة قائم على التنقل والترحال.[5]

ينقسم البدو إلى قبائل، والقبيلة هي الوحدة السياسية عند العرب في الجاهلية، وهي تتكون من جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة، ورابطة العصبية هي شعور التماسك والتضامن والاندماج بين من تربطهم رابطة

---

[1] اليعقوبي، مصدر سابق، ج 1، ص 294.

[2] حسن علي إبراهيم، مرجع سابق، ص 137-142.

[3] اليعقوبي، مصدر سابق، ج 1، ص 295.

[4] جواد علي، مرجع سابق، ج 6، ص 61.

[5] فيليب حتي، مرجع سابق، ج 1، ص 28.

الدم، وهي على هذا النحو مصدر القوة السياسية والدفاعية التي تربط بين أفراد القبيلة. وقد تتحالف القبيلة مع قبيلة أو قبائل أخرى للإغارة على حلف آخر، أو للدفاع ورد غارة القبائل الأخرى.[1]

وأفراد القبيلة الواحدة متضامنون وينصر أحدهم الآخر معتديا أو مدافعا، وإذا جنى أحدهم جناية حملتها كل القبيلة، وإذا غنم غنيمة فهي للقبيلة ولرئيسها أفضلها. وإذا أبت قبيلة أن تحميه لجأ إلى قبيلة أخرى ووالاها، واعتبر نفسه واحدا من أفرادها. وهذا الشعور بالارتباط بقبيلة يحميها وتحميه هو الذي يسمى بالعصبية.[2] ومن شروطها على الفرد الوفاء الذي لا حد له لإخوانه من أبناء العشيرة. ولا يؤمن البدوي إلا بتقاليد قبيلته وما ورثه عن آبائه. ويفتخر العربي البدوي بمروءته وهي المثل الأعلى عنده ظالما أو مظلوما،[3] وهي تعتمد على الشجاعة والكرم. وتتمثل الشجاعة في كثرة النزال والقتال في مواقف الدفاع عن القبيلة وتلبية النجدة. أما الكرم فهو يتمثل في نحر الإبل والماشية للضيف وإغاثة البائس والفقير، وأن يعطي أكثر مما يأخذ.[4]

وكانت المناوشات والحروب تستعر بين القبائل وتستمر مدة من الشهور إلى سنوات، وتقدح شراراتها أسباب بسيطة، كالأخذ بالثأر أو بسبب نزاع على الماشية أو المراعي أو المياه، أو للشرف أو للظلم، أو دفاعا عن الأنساب والأحساب. وفي أول الأمر ينشب النزاع بين بضعة رجال إثر خلاف على الحدود أو إهانة لحقت أحد الفريقين، فما تلبث خصومة الأفراد حتى تستحيل إلى نزاع حاد بين الجماعتين وتلتظي نار الحرب مرارا بين المتناوئين إلى أن يخمدها توسط قبيلة محايدة. وكانت الحروب فرصة للغزو والنهب وإظهار أعمال البطولة الفردية والفروسية التي كان يبديها زعماء القبائل المتخاصمة، وفرصة أيضا للشعراء الذين هم لسان حال القبائل المتحاربة، فيترامون بقصائد الهجاء القاذع، أو بالقصائد الحماسية. ويسمي العرب هذه الحروب بالأيام، منها يوم بعاث الذي اشتبكت فيه الأوس والخزرج في يثرب قبل الهجرة النبوية، ويوم الفجار الذي جرت وقائعه بين قريش وحلفائها

---

[1] أحمد أمين، مرجع سابق، ص 4.

[2] المرجع السابق، ص 10.

[3] فيليب حتي، مرجع سابق، ج 1، ص 35.

[4] أحمد أمين، مرجع سابق، ص 10.

من بني كنانة ضد هوازن. ومن أقدم الحروب وأشهرها حرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب التي دامت أربعين سنة بسبب جرح ناقة. وحرب داحس التي استعرت مدة تزيد عن العقدين من الزمن، بين قبيلتي عبس وذبيان، بسبب تدليس في سباق بين فرسين أحدهما لقيس سيد عبس اسمه داحس، والآخر لحذيفة سيد ذبيان اسمه الغبراء.[1]

والمرأة تشارك الرجل في كل الشؤون مثل جمع الحطب وجلب الماء، ورعاية الماشية، وفي المسكن والملبس ... الخ، وهي أقرب في عقليتها للرجل ولكن لا يعتمد عليها في الحروب، وبما أن للحروب أهمية خاصة، انحطت قيمة المرأة عند العرب. وقد كان المجتمع البدوي يحتقر المرأة وينظر لها نظرة دونية، فكانت كراهية الأنثى متفشية في أهل البادية.[2]

هذا بالنسبة للعرب البدو، أما العرب الحضر في اليمن وفي بعض مدن الحجاز، فقد كانوا يسكنون الحواضر، ويستقرون فيها، ويعيشون على التجارة أو الزراعة، وقد أسسوا قبل الإسلام ممالك ودول ذات مدنية كاليمن، والدولة المعينية، ومملكة حضرموت، ومملكة سبأ، في الجنوب وإمارة الغساسنة في الشام، والمناذرة في العراق.[3]

[1] فيليب حتي، مرجع سابق، ج 1، ص 119-122.

[2] أحمد أمين، مرجع سابق، ص 10-11.

[3] أحمد أمين، مرجع سابق، ص 11؛ جواد علي، مرجع سابق، ج 2، ص 73، 129، 258.

الفصل الثاني

العهد النبوي

يمثل ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية ثورة دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية، بل أعطى الإسلام للعرب انتقالا حاسما في تاريخهم، إذ أصبحوا يعتنقون دينا واحدا يدعوهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، ونبذوا الشرك، وعبادة الأوثان، وحقق لهم وحدتهم السياسية، وجعل منهم أمة موحدة قوية، حققت فتوحات واسعة. ولكل ثورة دينية أو سياسية أو اجتماعية مراحل تمهيدية ومقدمات، والتقديم لهذه الثورة واضح في تاريخ العرب قبل الإسلام، ويتجلى ذلك في ضعف المثل الجاهلية القديمة سواء كانت سياسية أم دينية أم اجتماعية، والميل إلى تركها والبحث عن مثل أخرى جديدة، والتنبؤ بقرب ظهور نبي مصلح يدعو إلى هذه المثل. في هذه الظروف ظهرت الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة معقل الوثنية، ومربط التجار في شبه الجزيرة العربية.

1- شخصية النبي صلى الله عليه وسلم

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ويدعى شيبة الحمد، ابن هاشم بن عبد مناف واسمه المغيرة، ابن قصي ويسمى زيدا، ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1] (وفوق هذا النسب مختلف فيه بين النسابة والمؤرخين).

ينتمي النَّبي ﷺ إلى بطن بني هاشم ثم إلى فصيلة عبد المطلب. وقد تولى بنو هاشم السقاية والرفادة، حين تصالحوا مع بني عبد الدار على اقتسام المناصب. وبعد هاشم صارت السقاية إلى المطلب أخاه، ثم إلى عبد المطلب الذي قام بحفر زمزم، كما اشتهرت قصته مع أبرهة الحبشي. أما

1 ابن هشام (عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين ت 213هـ))، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 2، 1375هـ-1955 مج 1، ص 110.

أمه فهي أمينة بنت وهب بن عبد مناف. وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم".[1]

أبوه هو عبد الله بن عبد المطلب وهو أصغر إخوته، وقد توفي وزوجته حامل بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، وأمه هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشية الزهرية، وهي أفضل نساء قريش نسبا وموضعا.

ولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمكة عام الفيل، في 12 ربيع الأول الموافق لـ 20 افريل 571 م على الأرجح. فأرضعته ثويبة مولاة أبي لهب أياما، ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وفطم رسول الله لسنتين، فردته حليمة إلى أمه وجده، وهو ابن خمس سنين.[2] ولما بلغ السنة السادسة من عمره، خرجت به أمه لزيارة أخواله من بني عدي بن النجار في يثرب، ومعها عبد المطلب جد النبي وأم أيمن حاضنته، وأثناء عودتها إلى مكة توفيت بالأبواء. فأصبح الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتيم الأب والأم، فكفله جده عبد المطلب وكان يؤثره على بنيه ويغمره بحنانه ويدنيه منه. ولما بلغ الثامنة من عمره توفي جده عبد المطلب، فكفله عمه أبو طالب، فكان يحنو عليه ويعتني به ويخرجه معه في أسفاره وكان يجد فيه من النجابة والذكاء والبر وطيب النفس ما جعله يزداد تعلقا به، وأخرجه معه إلى الشام في تجارة له.[3]

وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة في رعاية عمه أبي طالب، واشتغل حينا برعي الغنم، ثم شهد —في شبابه– حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان، وقد

---

[1] سنن الترمذي، حديث رقم: 3605.

2 المباركفوري صفي الرحمن (ت 1427هـ/2006م): الرحيق المختوم (مع بعض التعديلات والزيادات من د. علاء الدين زعتري وغسان محمد رشيد الحموي، دار العصماء، دمشق، 1427. ص 7-8.

[3] سالم السيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1973. ص 44-45.

أخرجه أعمامه معهم في بعض أيامها، وكان يرد على أعمامه نبال عدوهم إذا رموهم بها. كذلك شهد النبي مع عمومته حلف الفضول الذي كان هدفه مناصرة المظلوم على الظالم.[1]

ولما تجاوز النبي سن العشرين وجهته السيدة خديجة بنت خويلد، وكانت امرأة شريفة موسرة ذات تجارة عريضة، إلى الشام في تجارة لها، وذلك عندما بلغها من أمانته وصدقه ووفائه. فخرج النبي في تجارتها إلى الشام حيث باع واشترى ما أراد، وقفل عائدا بمالها إلى مكة، وقد حقق أضعاف ما كان يصلها من المال. ولما رأت خديجة أمانته وبركته، وسمعت من غلامه ميسرة عن نبله وصدقه وطهارته، دست إليه من عرض عليه أن يتزوجها، فرغب في ذلك، فتزوجته وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي ابنة أربعين سنة، وكانت خديجة أول امرأة تزوجها النبي، ولم يتزوج غيرها حتى توفيت، فأنجبت له ولده كلهم إلا إبراهيم.[2]

من صفاته صلى الله عليه وسلم:

1. **العصمة:** لقد كان ﷺ يجد في نفسه ما يجده كل الشباب من مختلف الميولات الفطرية لكن الله عصمه عن جميع مظاهر الانحراف، كما نجده في حديث البيهقي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ ﷺ يَقُول "مَا هَمَمْت بشيء مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهُمُّونَ بِهِ مِنَ النِّسَاء، إِلَّا لَيْلَتَيْنِ كلتاهما عصمني الله عزَّ وجل فِيهِمَا...)) الحديث.[3]

2. **الذكاء والفطنة:** وهما من صفات الرسل. من الشواهد على ذكائه وفطنته حله النزاع بين سادة قريش في نقل الحجر الأسود، فقَالَ للمختلفين من قريش " هَلُمَّ إِلَيَّ ثَوْبًا، فَأُتِيَ بِهِ، فَأَخَذَ الرُّكْنَ

1 المباركفوري، مرجع سابق، ص 11-13

2 ابن هشام، مصدر سابق، مج 1، ص 189؛ سالم السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص 47.

3 ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت 774هـ/1370م): السيرة النبوية من كتاب البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1976. مج 1، ص 252؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج 2، ص 586.

فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: لِتَأْخُذَ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنْ الثَّوْبِ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا" فَفَعَلُوا: حَتَّى إِذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ، وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ، ثُمَّ بني عَلَيْهِ.[1]

3. **الأمانة:** فوصفه قومه بالأمين. من الأمثلة على ذلك أنه ﷺ كلَّف علياً رضي الله عنه بتبليغ الأمانات عند هجرته.[2]

4. **معايشة النَّاس:** فكان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرسول يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾،[3] وقد أنكر بعض المشركين أن يفعل ذلك نبي.

5. **الشجاعة والصمود:** فيوم حنين لما فرَّ المحاربون من المعركة أمام قبيلة هوازن، ثبَّت بغلته ونادى أصحابه "أنا النَّبي لا كذب أنا بن عبد المطلب". عن شُعْبَةَ، عن أبي إسحاق، قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ، فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ المسْلِمُونَ عَلَى الغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِي ﷺ يَقُولُ: "أَنَا النَّبِي لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المطَّلِبْ".[4]

6. **تواضعه:** فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِي ﷺ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: "هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ".[5] كما كان يمنع النَّاس من القيام له، يُجالس أصحابه كأحدهم ويجالس الفقراء ويعود المساكين. ومن الأمثلة عن تواضعه أن عَائِشَةَ

---

1 ابن هشام، مصدر سابق، مج1، ص197.

2 ابن كثير، مصدر سابق، مج 2، ص 244.

3 سورة الفرقان، آية: 07.

4 البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ، ج 4، ص30.

5 ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ/806م)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي (دت). ج 2، ص 1101.

رضي الله عنها، قالت عن عمله ﷺ في بيته: «كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ».[1]

7. **التيسير على النَّاس:** فكان ميسرا في الحلال قالت عائشة رضي الله عنها "ما خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا".[2]

8. **الكرم:** فكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر. عَنْ أَنَسٍ قال" أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ النَّبِي ﷺ، فَأَمَرَ لَهُ بِغَنَمٍ، ذَكَرَ ابْنُ عَائِشَةَ كَثْرَتَهَا، فَأَتَى الْأَعْرَابِيُّ قَوْمَهُ، وَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخَافُ الْفَقْرَ".[3]

9. **كان صمته فكرا وكلامه ذكرا:** عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَأَلْتُ خَالِي هِنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ، وَكَانَ وَصَّافًا، فَقُلْتُ: صِفْ لِي مَنْطِقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ دَائِمَ الْفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، طَوِيلُ السَّكْتِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِاسْمِ اللَّهِ تعالى، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، كَلَامُهُ فَصْلٌ، لَا فُضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ، لَيْسَ بِالْجَافِي وَلَا الْمُهِينِ، يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ، وَإِنْ دَقَّتْ لَا يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَّاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ، وَلَا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا، وَلَا مَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تُعُدِّيَ الْحَقُّ لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، وَلَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا، وَضَرَبَ بِرَاحَتِهِ الْيُمْنَى بَطْنَ إِبْهَامِهِ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ".[4]

---

1 محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت 354هـ/965م)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، حققه شعيب الأرنؤوط، ط 2، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1993. ج 12، ص 490.

2 البخاري، مصدر سابق، ج4 ص 189.

3 ابن حبان، مصدر سابق، ج10 ص 354

4 الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، (ت 279هـ/892م)، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، تحقيق سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، 1993. ص 184.

لما دنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الأربعين سنة، مال إلى العزلة، وحببت إليه الخلوة في غار حراء، حتى نزل عليه الوحي في شهر رمضان، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال " كان رسول الله يجاور في غار حراء من كل سنة شهرا"،[1] والرؤيا الصادقة فعن الزهري عن عائشة أنها قالت: "كان أول ما ابتدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة".[2]

كان نزول جبريل عليه السلام على النَّبي ﷺ بمثابة افتتاح للنشاط الدعوي. قال تعالى لنبيه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.[3] ثم انقطع الوحي مدة من الزمن، فشق ذلك على النبي وأحزنه حزنا شديدا حتى نزلت عليه سورة الضحى، التي أقسم فيها الله تعالى أنه ما تركه وما أبغضه منذ أحبه. وبينما كان يسير يوما إذ سمع صوتا فرفع رأسه إلى مصدره، فإذا جبريل بين السماء والأرض، فخشي منه النبي ودخله منه روع، وأسرع إلى داره يرتجف وأتى خديجة وطلب منها أن تدثره فنزلت عليه سورة المدثر: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7)﴾.

وبنزول هذه السورة، تبدأ الدعوة الإسلامية بمراحلها المختلفة، حيث بادر النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة الناس إلى الإسلام، وتركهم عبادة الأوثان والأصنام، وبدأ بأقرب الأقربين إليه.

وخلال دراسة مراحل الدعوة الإسلامية، لا بد من التطرق إلى سيرة النبي ﷺ، لأنه الشخص الذي فضَّله الله سبحانه وتعالى على بقية الخلق، فأنزل عليه الوحي وكلَّفه بالرسالة والدعوة الإسلامية. ولا ينبغي التطرق إلى هذه السيرة –كما هو الحال عند كثير من المؤرخين والدارسين– على أنها مجرد أحداث وتفاصيل، كغيرها من الأحداث التي شهدها العالم القديم أو المعاصر. في السيرة النبوية دروس وعبر، بل فيها تشريع للمسلمين، إذ لا يمكن الوقوف على سنته إلا من خلال التطرق إلى

1 ابن هشام، المصدر السابق، ج1 ص284.

2 نفسه

3 سورة العلق، آية: 1 ،2، 3، 4، 5.

سيرته. وسُنَّتَهُ ﷺ القولية أو الفعلية أوالتقريرية، هي المصدر الثاني في التشريع بعد القرآن الكريم قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرسول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[1] ويعتبر الرسول ﷺ قدوة لكل المسلمين، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اِللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَة لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ اَلاخِرَ وَذَكَرَ اَللَّهَ كَثِيرا﴾.[2]

لقد شَهِدَت الجزيرة العربية ببعثة النَّبي ﷺ تحولا جذريا فريدا من نوعه في تاريخ البشرية، ولم تقتصر آثارها على جزيرة العرب فحسب، بل تعدت لتغير مسار تاريخ البشرية في العالم القديم، ومسار الأجيال المتعاقبة في جميع أنحاء العالم على الصعيد العقدي والفكري والسياسي والاجتماعي والثقافي. وتدرس السيرة النبوية وفق المعالم الآتية:

- ندرس شخص النَّبي ﷺ كما قدمه لنا القرآن الكريم، فهو لم يقدم نفسه لقومه وللبشرية على أنه زعيم روحي، أو مصلح سياسي، أو اجتماعي، أو قائد قومي، أو رجل فكر، ندرس شخصه ﷺ بوصفه نبياً مرسلا للبشرية كافة.
- لابد من دراسته وتقديمه ﷺ على أنَّه رسول يُوحى إليه من ربه بواسطة الملك جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾،[3] فكل محاولة تسعى إلى تقديمه بغير هذه الصفة، يكون الغرض منها الإنقاص من مكانته، وتشويه لدعوته، ومحاولة لنفي صفة الرسالة عنها، وسعي لإنزالها إلى مراتب التجارب البشرية، بينما هي في كُنْهها دعوة ربَّانية المصدر والمنهج، تسمو فوق كل الاجتهادات والمناهج التي صاغتها العقول البشرية.

---

1 سورة الحشر، الآية: 07.

2 سورة الأحزاب، الآية 21.

3 سورة المائدة، الآية: 67.

- في نفس الوقت يجب أن تُدرس سيرته ﷺ من كل الجوانب: النشأة، الحياة الشخصية، الحياة الاجتماعية، والتجربة الإنسانية، ونشاطه ومعاملاته في مختلف مجالات الحياة.
- يجب أن تُقَدم دعوته التي كانت مسايرة للوحي على أنها منهاج يراعي مقتضيات واقع بشري بطبيعته في الزمان والمكان من جميع جوانبه.
- يمكن القول في الأخير أن دعوته ﷺ ربَّانية المصدر، وسطية المنهج، واقعية النظرة لمحيطها باعتبار أن الرسالة الإسلامية نزلت على الإنسان بكل ما تحمله ذلك من معاني، عالمية الأهداف فهي لا تخص العرب دون غيرهم من الأمم بل هي رسالة للبشرية كافة.

2- مراحل الدعوة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ

يقسم تاريخ الدعوة الإسلامية إلى مرحلتين رئيسيتين، هما المرحلة المكية والمرحلة المدنية.

أ- المرحلة المكية: وقد استغرقت ثلاثة عشر عاماً، من بداية الدعوة إلى الهجرة، ويمكن تقسيمها إلى دورين:

الدور الأول: وهي مرحلة الدعوة السرية، تبدأ من أول سنة للبعثة بعد نزول سورة المدثر، وقد استغرق هذا الدور ثلاث سنوات، وبدأ النبي ﷺ بأقرب الأقربين إليه، ولم يتكلم عن الإسلام في المجالس العمومية لقريش. وكان في أوائل من دخل الإسلام من هؤلاء: خديجة بنت خويلد، وعلي بن ابي طالب، وزيد بن حارثة، وأبو بكر بن أبي قحافة، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص ... (رضي الله عنهم). وكان أحدهم إذا أراد القيام بعبادة من العبادات ذهب إلى شعاب مكة يستخفي فيها عن أنظار قريش.

ثم أسلم بعد هؤلاء طبقة ثانية منهم: أبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وفاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وأختها عائشة. ولما زاد عددهم عن الثلاثين ما بين رجل

وامرأة، أصبحوا يجتمعون سرا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في دار الأرقم بن أبي الأرقم للإرشاد والتعليم.[1]

وكانت حصيلة هذه الدعوة في هذه الفترة ما يقارب أربعين رجلا وامرأة، اعتنقوا الإسلام، معظمهم من الفقراء والأرقاء وممن لا شأن له بين قريش.[2] ويمكن ملاحظة أمرين في هذه المرحلة:

الأول: حافظ الرسول (صلى الله عليه وسلم) على سرية الدعوة حفاظا على أصحابه وتعليما للدعاة وإرشادا لهم إلى مشروعية الأخذ بالحيطة والأسباب الظاهرة.[3]

الثاني: أن الأوائل الذين اعتنقوا الإسلام كانوا من المستضعفين، والحكمة في ذلك أن حقيقة هذا الدين، تتمثل في الخروج عن سلطان الناس وحكمهم إلى سلطان الله وحكمه وحده، وهذا يخدش كبرياء وسيادة المتسلطين والمتحكمين.[4]

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يدعو الناس في هذه المرحلة ويعلمهم أربعة أشياء:[5]

1 – الوحدانية المطلقة: فالإنسان ليس عبدا لأي كان في الأرض وليس هناك شركاء ولا شفعاء ولا وسطاء.

2 – الدار الآخرة: وهو اليوم الذي يلقى فيه الناس ربهم.

3 – تزكية النفس: وذلك بلزوم العبادات التي شرعها الله عز وجل، والابتعاد عن الأمور التي نهانا عنها.

4 – حفظ كيان الجماعة المسلمة: باعتبارها وحدة متماسكة تقوم على الأخوة والتعاون، بنصر المظلوم وإعطاء المحروم وتقوية الضعيف.

1- ابن هشام، مصدر سابق، ج1 ص239.

[2] البوطي محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية، ط 10، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991. ص 106، 108، 110.

[3] المرجع السابق، 106.

[4] المرجع السابق، 109.

[5] الغزالي محمد، فقه السيرة، ط 6، دار الكتب الحديثة، د م، 1965. ص 97-98.

الدور الثاني: وهي مرحلة الجهر بالدعوة والكف عن القتال، مدة هذا الدور عشر سنوات. بعد ثلاث سنوات من السرية، أمر الله تعالى نبيه بالجهر بالدعوة وإظهارها لقومه، لما نزلت الآية: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ. وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ. وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾،[1] وفي سورة الشعراء يقول الله تعالى لنبيه الكريم: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ. وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ. الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ. وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ. إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.[2]

ولما بدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) دعوته، سخرت منه قريش، وعندما جهر بها، أيقنت أنه جاد، فانقلبت سخريتها إلى اضطهاد وتعذيب، فأخذت تسيء معاملته وتسوم أتباعه صنوف العذاب. وقد واجهت الدعوة الإسلامية كل أنواع التشويه والأذى المعنوي والحسي، وكان على النَّبي ﷺ وأصحابه الصبر والاستمرار في الدعوة دون الوقوع في فخ المواجهة. يمكن تلخيص سياسة المشركين تجاه الدعوة في الأعمال الآتية:

- **التشويه**: فاتُّهم ﷺ بالجنون. قال تعالى في ذلك: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.[3]
- **التكذيب**: بعد أن كان يعرف بالصادق الأمين، اتهم ﷺ بالكذب والاستعانة ببعض النَّصارى فيما ينزل عليه من وحي قال تعالى في ذلك: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا. وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[4]

---

1 سورة الحجر، آية :94،95، 96، 97، 98، 99.

2 سورة الشعراء، الآيات: 214 -220.

3 سورة الحجر، آية: 4، 5، 6، 7.

4 سورة الفرقان، آية: 4،5، 6.

- **التعجيز ومحاولة التأثير على أصحابه ومن يستمع إلى دعوته:** قال تعالى في ذلك: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرسول يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾.[1]

- **التشويش:** واجتهدوا في إلهاء النَّاس عن الاستماع للقرآن الكريم. قال تعالى في ذلك: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.[2] والمقصود من ذلك اللغو فيه، ومعارضته بالرجز والشعر. قال مجاهد: بالْمُكاء والصفير. وبإكثار الكلام فيختلط عليه وبالصياح في وجهه.[3]

وبعد أن فشلت هذه الأساليب، انتقل سادة قريش إلى:

- **المساومة:** فمما خاطبوه به في ذلك قولهم: "فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك (أي التابع من الجن) فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك".[4]

- **التهديد المباشر:** فقالت قريش ﷺ لعم الرسول أبا طالب: "يا أبا طالب إن بن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه. فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه". ولما واصل النَّبي ﷺ دعوته مَشَوْا ثانية إلى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا لَهُ: "إن لك سناً وشرفاً

---

1 سورة الفرقان، آية: 7،8.

2 سورة فصلت، الآية:26.

3 البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود (ت 516هـ/1122م): معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط 4، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1417هـ/1997 م، ج7، ص 171.

4 ابن هشام، مصدر سابق، ج1 ص 295.

ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين".[1]

- **الاضطهاد:** قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ "ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش. وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم".[2] مما روي في ذلك تعذيب أمية بن خلف الجمحي لبلال بن رباح مولى أبي بكر، وتعذيب بنو مخزوم لعمار بن ياسر وأباه وأمه، ومحاولة بعض القرشيين قتل الوليد بن الوليد بن المغيرة فمنعهم أخوه هشام.[3]

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول نعم حتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون له أهذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهده".[4]

وتعرض الرسول ﷺ مثل أصحابه لشتى أنواع الابتلاء رغم وقوف بني هاشم دون ذلك. فذكر ابن هشام بعض ممن كان يؤذي الرسول ﷺ كأبي لهب بن عبد المطلب وزوجته أم جميل بنت حرب، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل السهمي، وأبي جهل بن هشام، والنضر بن الحارث بن علقمة، والوليد بن المغيرة، وأُبي بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وغيرهم.[5] وقد ذكر ابن هشام من أمثلة إيذاء رسول الله ﷺ، طرح رحم الشاة عليه وهو يصلي. وحدَّثَ عن عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة بن الزبير أن أحدهم كان يطرحها في برمته إذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله ﷺ

---

1 ابن هشام، مصدر سابق، ج1 ص 266.
2 نفس المصدر، ج1 ص 317.
3 نفس المصدر، ج1 ص 318 فما بعدها.
4 نفس المصدر، ج1 ص320.
5 نفس المصدر، ج1 ص354 فما بعدها.

حجرا يستتر به منهم إذا صلى. فكان ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يقف به على بابه ثم يقول:" يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق".[1]

- **المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية لبني هاشم والمؤمنين:** كان ذلك فيما يعرف بخبر الصحيفة في السنة السابعة للبعثة بعد هجرة بعض الصحابة إلى الحبشة. وجاء فيما أجمعت عليه بطون قريش أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا وعلقوا بيان الصحيفة في جوف الكعبة.[2] والحقيقة أن الحصار الاقتصادي لم يحقق هدفه ضد المسلمين وضد بني هاشم، بل زاد من لُحْمَة المحاصَرين. وكان بعض القرشيين يأتونهم بالمؤونة مُستخفين، ثم تحركت نخوة العصبية فقام هشام بن عمرو الجذامي وكانت له قرابة ببني هاشم، وزهير بن أبي أمية وأمه عاتكة بنت عبد المطلب، والمطعم بن عديِّ بن نوفل بن عبد مناف بنقض الصحيفة، فخرج المسلمون وبني هاشم من هذه المحنة.[3]

- **محاولات اغتيال النَّبي ﷺ:** تعرض الرسول ﷺ إلى عشر محاولات اغتيال، ثلاث منها قبل وصوله الى المدينة. أولها كانت من تدبير أبي جهل، حاول اغتياله بحجر يحمله يفضِّخ به رأسه وهو ساجد.[4] والثانية ما اتفقت عليه قريش في دار الندوة غداة الهجرة النبوية في 14 صفر للبعثة.[5] الثالثة تلك التي قام بها سراقة بن مالك لما كان النَّبي ﷺ في طريقه إلى المدينة مهاجرا.[6]

تواصلت الدعوة الإسلامية رغم كل العقبات التي وضعتها قريش للرسول ﷺ وأصحابه، سواء قبل أو بعد وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها وعمَّه أبا طالب. وإن كان ما لحقه من أذى بعد وفاة عمّه أكبر. يروي ابن إسحاق أنه لما قامت إحدى ابنتيه تغسل عنه التراب وهي تبكي قال

---

1 ابن هشام، مصدر سابق، ج1 ص416 فما بعدها.

2 نفس المصدر، ج1 ص350.

3 نفس المصدر، ج1 ص 374، 375.

4 نفس المصدر، ج1 ص298؛ السيد مهدي سلامة، 10 محاولات لاغتيال النَّبي ﷺ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية، 2004. ص17

5 المصدر السابق، ج1 ص480؛ المرجع السابق، ص19، 20.

6 نفس المصدر، ج1 ص489، 490-290.

لها: "لا تبكي يا بنيه فإن الله مانع أباك". يقول بين ذلك" ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب".[1]

يجب التنبيه أن القرآن بقي يتنزل عل النَّبي ﷺ في مكة، يدحض ادعاءات المشركين ويتوعدهم بالعذاب ويرفع من معنويات الرسول ﷺ أمام مختلف أنواع التشكيك والابتلاءات، ويثبته على الصبر أمام المحن ويقص عليه قصص الأنبياء. مما نزل النَّبي ﷺ في تلك الظروف الصعبة والحرجة قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد. مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾.[3] كما كانت حادثة الإسراء والمعراج من المعجزات التي أكرم بها الله عز وجل نبيه ﷺ.[4] استمر النشاط الدعوي في العهد المكي رغم كل المحن، وتلخص في الخطوات الآتية:

1. عرض الرسول ﷺ الدعوة خارج قريش على قبائل أهل الطائف، فناله منهم أذى صبيانهم.[5] وسار إلى بني كلب وبني حنيفة وبني عامر في منازلهم يدعوهم إلى الإسلام. كما كان يخاطب القبائل في المواسم.[6]

---

1 ابن هشام، مصدر سابق، ج1 ص416.

2 سورة يوسف، آية :03.

3 سورة فصلت، آية: 41، 42 ،43.

4 نقل المباركفوري عدة أقوال في تاريخ الاسراء والمعراج فقيل كان الإسراء في السنة التي أكرمه الله فيها بالنبوة، اختاره الطبري. أو بعد المبعث بخمس سنين، رجح ذلك النووي والقرطبي أو ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة 10 من النبوة، واختاره العلامة المنصور فوري. وقيل: قبل الهجرة بستة عشر شهرا، أي في رمضان سنة 12 من النبوة أو قبل الهجرة بسنة وشهرين، أي في المحرم سنة 13 من النبوة أو قبل الهجرة بسنة، أي في ربيع الأول سنة 13 من النبوة. المباركافوري، مرجع سابق، ص 85.

5 ابن هشام، المصدر السابق، ج1 ص424.

6 نفس المصدر، ج1 ص419. هناك قصة ملفتة تتعلق بالشروط التي عرضها بنو عامر لاعتناق الإسلام ورفض النَّبي ﷺ لها.

2. أذن النَّبي لبعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مع نسائهم. وهي الهجرة الأولى إلى الحبشة في رجب السنة الخامسة للبعثة، ثم الثانية في ذي القعدة من نفس السنة. قال بن إسحاق "فلما رأى رسول الله ﷺ ما يُصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم)).[1]

3. التقى النَّبي ﷺ مع ستة فتيان من الأوس والخزرج عام 11 للبعثة، وكان هذا اللقاء بداية بزوغ معالم الخروج من الشدة وهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث ورافع بن الحارث ورافع بن مالك وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبد الله. ثم تلاها العام الثاني عشر من البعثة في العشر الأواخر من رمضان، بيعة العقبة الأول حيث نصت البيعة بيعة لا يفرض فيها القتال، ثم بيعة العقبة الثانية، في موسم الحج خلال السنة الثالثة عشر للبعثة التي نصت على حماية النَّبي ﷺ وأصحابه بالقتال، وحضرها تسعة نفر من الخزرج وثلاثة من الأوس.[2] وعندها تنتهي مرحلة الدعوة في مكة المكرمة، وتميز فيها الخطاب القرآني في بالخصائص الآتية:

- أن أول المخاطبين كان الرسول ﷺ المكلف بالرسالة بواسطة جبريل عليه السلام الذي بشره بالرسالة وكلفه بتبليغها.
- عرض القرآن المكي أسس التوحيد القائمة على توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ورفض كل أشكال الشرك.
- بيَّن للناس أن بعد حياة الدنيا حياة أخروية يكون فيها الجزاء على الأعمال ويقدم مشاهد من البعث ونعيم الجنة وعذاب النار.

---

1 هناك روايات عديدة حول الهجرتين لا يفسح مجال البحث الخوض فيهما. أنظر: ابن هشام، مصدر سابق، ج1، ص326؛ محمد إلياس الفالوذة عبد الرحمن، الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، مطابع الصفا، مكة، 1423 هـ/2002م، ص339.

2- ابن هشام، مصدر سابق، ج1 ص428 فما بعدها.

- كان في الخطاب القرآني رد على المشركين فيما كانوا يطعنون في الرسالة، وفيه مواساة وتثبيت للرسول ﷺ وللصحابة لما كانوا يلقونه من مشاق.
- سارت الدعوة في العهد المكي وفق مراحل واضحة بدايتها تزكية النفس، الدعوة السرية والاتصال بأهل الثقة من المقربين، دعوة الأقربين، دعوة قريش، السعي إلى نشر الدعوة خارج إطار مكة في القبائل المجاورة ودعوة القبائل في المواسم.
- كان على المسلمين الالتزام بالانضباط المطلق لتوجيهات الرسول ﷺ أي الصبر وكف الأيدي. فلا يردوا على أذى المشركين مهما كان وقعه عليهم. وكان على الرسول ﷺ الصبر وعدم التنازل عن المبادئ وعدم الإغترار بالعروض والمساومات.
- حقق النَّبي ﷺ الأهداف المرحلية في الحفاظ على الدعوة من محاولة المشركين القضاء عليها وتشويها وتمييعها بالمساومات، ونجح في تكوين مجموعة من الشباب المؤمنين المخلصين الذين هم نواة المجتمع الإسلامي الجديد، ثم بدت معالم الفرج تلوح في الأفق بإسلام نفر من شباب يثرب.

ب- المرحلة المدنية: تبدأ هذه المرحلة بحدث مفصلي في تاريخ مسار الدعوة الاسلامية. يتمثل في هجرة النَّبي ﷺ من مكة إلى المدينة الاثنين 8 ربيع الأول/ سبتمبر 622 م، وتستمر حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

لما كانت الليلة التي همَّت فيها قريش باغتيال الرسول ﷺ، وبعد إذن من الوحي خرج الرسول ﷺ مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، يريد أرض يثرب تاركا عليا رضي الله عنه في فراشه. وقد استأجر عبد الله بن أريقط الذي كان ماهرا بالدلالة فسلما له رحلاتهما، ووعداه عند غار ثور بعد ثلاثة أيام. اتخذ النَّبي ﷺ كل وسائل الحيطة والأمن، فكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يريح عليهما غنما تذهب الآثار. وكانت أسماء بنت أبي بكر تحمل لهما الزاد إلى الغار بينما كان عبد الله بن أبي بكر يأتيهما بخبر قريش. وقد خرج النَّبي ﷺ مع صاحبه أبا بكر رضي الله عنه مغالطا قريش فسار جنوبا وواصل مسيره شمالا نحو المدينة.[1]

1 ابن هشام، المصدر السابق، ج1 ص480 فما بعدها.

كان نزول النَّبي ﷺ بقباء يوم الاثنين 8 ربيع الأول/ سبتمبر 622 م وهي أول سنة في التاريخ الهجري. بقي بقباء أربعة أيام أين بنى مسجدا، ثم دخل يثرب يوم الجمعة عند أخواله من بني النجار يوم الاثنين 12 من ربيع الأول، بعد ثلاث عشرة من البعثة، عند اشتداد الضحى حيث استقبله أهل يثرب باحتفاء كبير.[1]

عاش الرسول ﷺ في مكة المكرمة ثلاثا وخمسين سنة، حتى ألفته وألفها، وكل عشيرته وقومه منها، ولكنه خرج منها إلى وطن جديد، يرى فيه امتداد قلبه وثمار غرسه. ومن هذا الموطن الجديد ستنطلق الدعوة الإسلامية لتشمل كل شبه الجزيرة العربية، وستنطلق إلى آفاق العالم القديم.

1 ابن هشام، مصدر سابق، ج1 ص493، فما بعدها؛ المباركفوري، مرجع سابق، ص115، 116.

خريطة طريق هجرة النَّبي ﷺ من مكة إلى المدينة[1]

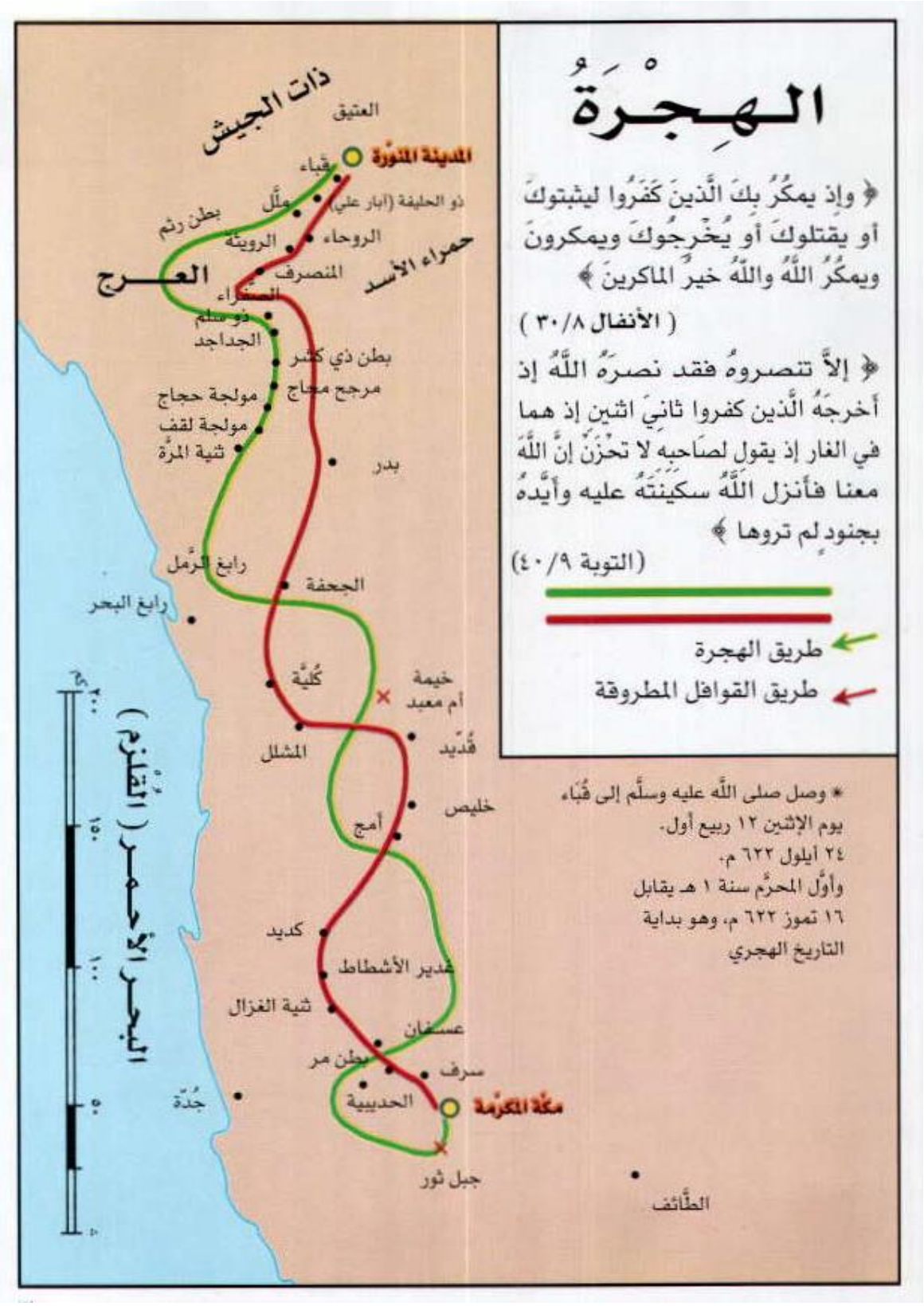

[1] أبو خليل شوقي، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، ط 5، دمشق، 2002. ص 31.

وأول ما قام به النَّبي ﷺ عند وصوله إلى المدينة:

1. **بناء المسجد:** بني المسجد حيث بركت الناقة، وهو موضع لغلامين يتيمين، واشتراه الرسول ﷺ منهما، وكان فيه نخيل وشجر غرقد وخرب ومقبرة قديمة للمشركين ... فنبشت القبور وغيبت العظام وقطعت الأشجار وسويت الخرب[1] ... وقد شارك الرسول ﷺ مع أصحابه في البناء. وكان المسجد بسيطا في بنائه وفراشه وسقفه وأعمدته ... ومنه تخرج كبار القادة والفاتحين. وبُنيت إلى جانبه حجرا ت اتخذها النبي ﷺ مساكن له.[2]

وقد كان المسجد في المدينة مركزا لصلاة المسلمين، ودار ندوة لهم في نفس الوقت، ففيه كان يتشاور النبي مع الصحابة في شؤون جماعة المسلمين وعلاقتهم بقريش ... وفيه كانت تستقبل وفود العرب إلى المدينة، وفيه كانت تعقد ألوية المسلمين عند خروجهم إما للاستطلاع أو للغزو، وكان المسجد مركزا ثقافيا وعلميا، فكان الصحابة يتولون تعليم القرآن والسنة لمن أراد أن يتعلمها من وفود العرب القادمة إلى المدينة.

2.وضع المواثيق العامة المُسَيرَةَ للمجتمع الإسلامي الناشئ بمختلف أطيافه:

- آخى أولا بين الأنصار من أوس وخزرج، ثم آخى بين الأنصار والمهاجرين.[3] وقد آخى بينهم على المواساة، والتوارث بعد الممات. وكانوا تسعين رجلا؛ خمسة وأربعون من المهاجرين، وخمسة وأربعون من الأنصار. وقيل خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار. كان ذلك قبل بدر. فلما كانت وقعة بدر وأنزل الله تعالى: ﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.[4] نسخت الآية ما كان قبلها، ورجع كل إنسان يورث

[1] محمد الغزالي، مرجع سابق، ص 189.

2 ابن هشام، مصدر سابق، ج1 ص498.

3 نفس المصدر، ج1 ص 504، 505، 506.

4 سورة الأنفال، آية: 75.

ذو ي رحمه.[1] وهي من أهم الأسس التي قامت عليها دولة المدينة، حيث ربط رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار برابطة المؤاخاة، وهو ما كان يعرف في الجاهلية باسم الحلف، أي أنه آخى بينهم على الحق والمؤاساة، وبذلك تآخى أبو بكر مع خارجة بن زهير الأنصاري، وعمر بن الخطاب مع عتبان بن مالك الأنصاري، وعبد الرحمن بن عوف مع سعد بن الربيع الخزرجي الأنصاري وعثمان بن عفان مع أوس بن ثابت المنذر.

والهدف من هذا الإخاء هو إذابة عصبيات الجاهلية، وسقوط فوارق النسب واللون والوطن، وبذلك توثقت وحدة المسلمين في المدينة، وأصبحوا قوة يحسب لها ألف حساب. وكانت هذه الأخوة عقدا نافذا، لا لفظا فارغا أو مجرد شعارات وهتافات سياسية أو حزبية أو ثرثرة ... وقد حرص الأنصار على الحفاوة بإخوانهم المهاجرين. والمهاجرون لم يستغلوا هذا البذل والعطاء إلا بقدر ما يتوجهون إلى العمل الحر الشريف. ومن الأمثلة عم ذلك ما حدث بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع. فقال سعد لعبد الرحمن، إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك، فسمِّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال عبد الرحمن، بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع ... كان سعد سمحا وكان عبد الرحمن نبيلا عفيفا، زاحم اليهود في سوقهم وبزهم في ميدانهم وكسب ما يحفظ له علو همته.[2]

- عقد العهود مع اليهود الساكنين بالمدينة وهم بنو قريضة وبنو النضير وبنو قينقاع.[3] وكانوا قد انحازوا إلى الحجاز زمن الاضطهاد الآشوري، فاصطبغوا بالصبغة العربية في الزيِّ واللغة دون أن يندمجوا ويذوبوا في المجتمع العربي.[4] وقد رغب الرسول ﷺ في تنظيم الأمور الاجتماعية والعسكرية للمجتمع المدني، فعقد لذلك عقدا بينه وبين أهم الجماعات التي يتكون منها المجتمع الجديد. "وكتب رسول

---

1 ابن سعد محمد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت 230 هـ /845 م): الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968 ج 1، ص 38.

2 الغزالي محمد، مرجع سابق، ص 192-193.

3 ابن هشام، المصدر السابق، ج1، ص 495.

4 الغزالي، المرجع السابق، ص 193، 194، 195.

الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم". وتعرف هذه الوثيقة في التاريخ الإسلامي، بالصحيفة،[1] وقد تضمنت تنظيما للحياة الاجتماعية في المدينة وتحديدا للعلاقات بين أهل المدينة المسلمين وبين يهودها. ويطلق على مثل هذه الوثيقة في عصرنا، كلمة (دستور)، لأنها حددت الحقوق والواجبات لأهل يثرب على أساس المواطنة.[2]

- عقد معاهدات الحلف واتفاقيات أخرى مع القبائل كانت مجاورة للمدينة، أو تلك التي كانت منازلها على طريق مكة، مثل قبيلة جهينة قرب المدينة تَنُص على عدم الاعتداء.[3]

3- أهم التطورات في المدينة حتى وفاته ﷺ

يُمكن بدايةً تقديم الواقع الجديد الذي كان على المسلمين التعامل معه في الجزيرة العربية منذ الهجرة النَّبوية في الصورة الآتية.

يوجد المشركون في مكة وقد خرج الرسول ﷺ من مظلة سلطانهم بعد أن عمل على دعوتهم مدة ثلاث عشرة سنة إلى الإسلام، غير أن استجابتهم كانت قليلة. يُضاف إليهم القبائل العربية التي كانت هي كذلك على الشرك، ومنها قبائل كانت تعيش قرب المدينة المنورة. أما مجتمع المدينة فكان يضم الأنصار وهم الأوس والخزرج والمهاجرين، يلتحق بهم اليهود والمنافقون الذين كانوا يظهرون الإسلام ويضمرون الكفر، غير أن الواقع الجديد الذي نشأ بالمدينة أنهم كلهم كانوا يقفون تحت مظلة الإسلام.

هكذا بدأ البناء التدريجي للمجتمع الإسلامي بترسيخ مبادئ الأخوة الإسلامية وضمان العهود مع المعاهدين. وزرع بذور الأمن والأمان حتى مع المخالفين. أما مشركو قريش فقد اعتبرهم المسلمون في صنف المحاربين، لهم لأنهم كانوا البادئين بالعدوان طيلة العهد المكي. فسلبوهم أرزاقهم، واستولوا

---

[1] أنظر تفاصيل كتاب الموادعة في الملحق رقم 01.

[2] البوطي محمد سعيد رمضان، مرجع سابق، ص 225.

[3] المباركفوري، المرجع السابق، ص 136.

على ممتلكاتهم، بعد خروجهم من مكة إلى المدينة، فحقَّ لهؤلاء مواجهتهم دون باقي العرب، وقتال من حالفهم أو اعتدى على المسلمين، وقتال من خان أو تحيَّز للمشركين من اليهود المعاهدين إذا خانوا العهود. وقد مرَّت المواجهة مع المشركين بعدة مراحل هي:

تشريع الجهاد: قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[1]

كان على المسلمين في هذه المرحلة بسط سيطرتهم على طرق قريش التجارية المؤدية من مكة إلى الشام، فكان رسول الله ﷺ يضايق قوافلها بالخروج للغزو وإرسال السرايا، وعقد المعاهدات مع القبائل القريبة من الخطوط التجارية.

أول عمل عسكري قبل غزوة بدر الكبرى كان سارية رابغ في رمضان السنة الأولى من الهجرة، بعث فيها رسول الله ﷺ سرية أمَّر عليها عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين فارسا من المهاجرين، فلقيت أبا سفيان في مائتين فترامى فيها الطرفان بالنبل، دون أن يقع قتال،[2] ثم سرية سيف البحر في ثلاثين رجلا من المهاجرين ، في شهر شوال من السنة الأولى للهجرة، أمّر رسول الله ﷺ عليها حمزة بن عبد المطلب ليعترض عيراً لقريش قادمة من الشام،[3] ثم سرية الخرّار في ذي القعدة من السنة الأولى للهجرة، بعث فيها رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص في عشرين فارسا، غير أنهم لما بلغوا الخرار وجدوا عير قريش قد مرَّت.[4] ثم خرج النَّبي ﷺ إلى غزوة الأبواء أو ودَّان في شهر صفر من السنة الثانية بعد الهجرة، يعترض عيراً لقريش، وهي أول غزوة غزاها الرسول ﷺ،

1 سورة الحج، آية: 40.

2 ابن هشام، المصدر السابق ج،1 ص591؛ المباركفوري، المرجع السابق، ص 138.

3 نفس المصدر، ج1 ص 595؛ نفس المرجع، ص137.

4 نفس المصدر، ج1 ص 600؛ نفس المرجع، ص138.

مدتها خمس عشرة يوم. بلغ فيها ودَّان. وفيها عقد معاهدة حلف مع عمرو بن مخشي الضمري، سيد بني ضمرة ولم تنص على اعتناق الإسلام.[1] ثم تلتها غزوة بواط، في شهر ربيع الأول في السنة الثانية للهجرة، خرج فيها الرسول ﷺ في مائتين من أصحابه، يعترض عيرا لقريش فيها ألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بواطا ولم تقع فيها معارك. ثم كانت غزوة سفوان، في شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة، تسمى أيضا بغزوة بدر الأولى. خرج فيها ﷺ خلف كرز بن جابر الفهر، وقد أغار قبل أن يعتنق الإسلام على مواش بالمدينة. ولما بلغ ﷺ سفوان ناحية بدر لم يدركه. ثم غزوة ذي العشيرة في جمادي الأولى، وجمادي الآخرة من السنة الثانية للهجرة، خرج معترضا عيرا لقريش، في طريقها إلى الشام غير أن العير قد فاتته بأيام، وهي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام، فصارت سببا لغزوة بدر الكبرى.

في هذه الغزوة عقد رسول الله ﷺ معاهدة عدم اعتداء مع بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة.[2] ولم تنص المعاهدة على اعتناق بني مدلج الإسلام. ثم كانت سرية نخلة في رجب سنة 2 هـ، بقيادة عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة في اثني عشر رجلا من المهاجرين.[3]

يتضح من خلال ما سبق عرضه أن هذه السرايا والغزوات التي خاضها المسلمون تدخل في نطاق الحرب الاقتصادية، بهدف عرقلة النشاط التجاري لقريش واسترجاع الأموال التي سلبها القرشيون من المسلمين بعد هجرتهم.

---

[1] ابن هشام، مصدر سابق، ج1 ص 591؛ المباركفوري، مرجع سابق، ص 138.

[2] نفس المصدر، ج1 ص 608؛ نفس المرجع، ص139.

[3] نفس المصدر، ج1 ص 601؛ نفس المرجع، ص140.

خريطة الطرق بين مكة والمدينة نحو الشام.[1]

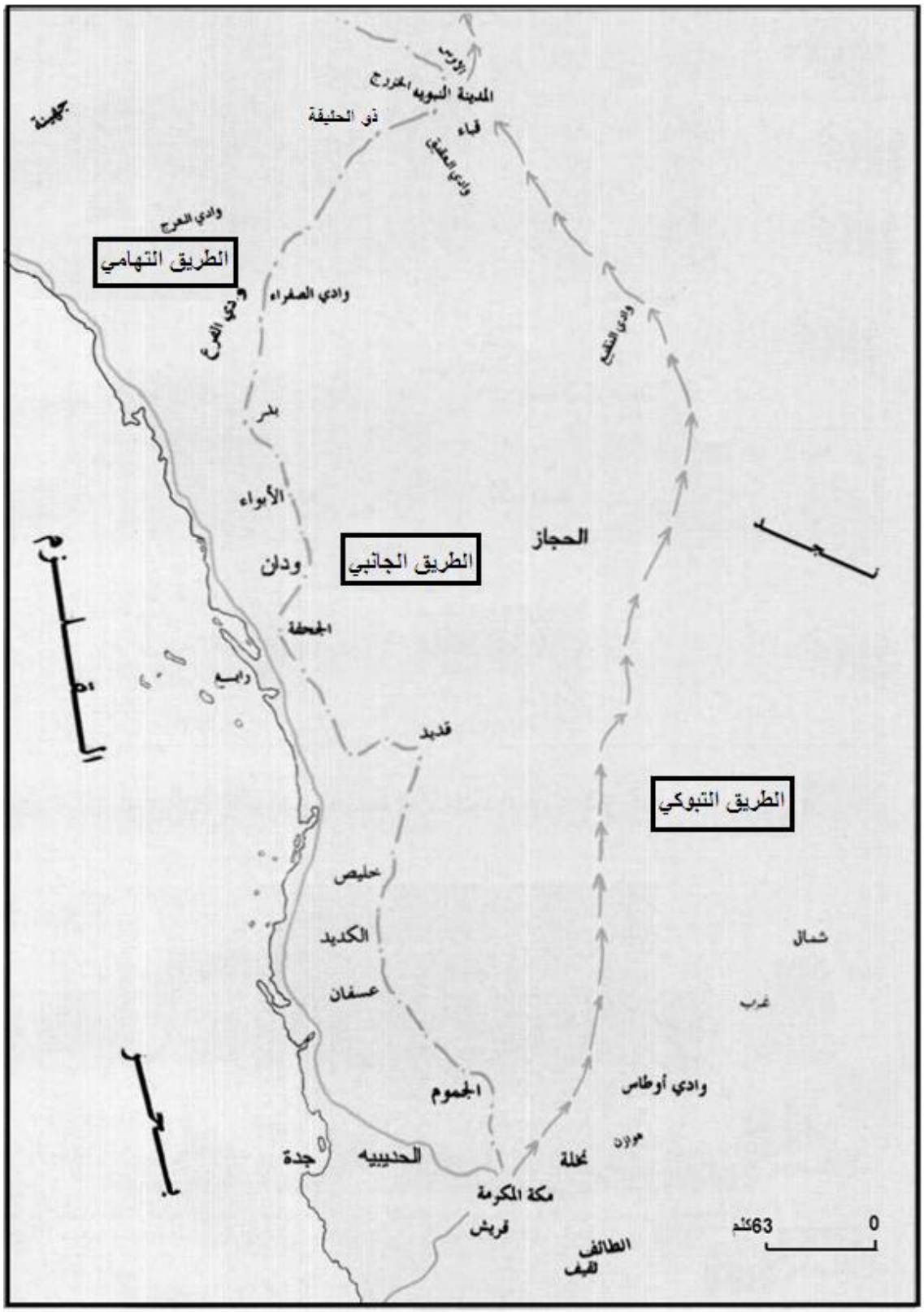

[1] المغلوث سامي بن عبد الملك، الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ، ط 3، مكتبة العبيكان، 1425هـ/2004 م. ص126.

فرض القتال وغزوة بدر الكبرى 17 رمضان 2 هـ: فرض الله عزَّ وجل القتال على المؤمنين بعد أحداث سرية عبد الله بن جحش، في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة، في قوله تعالى: ﴿وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِين. وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتَّى يُقاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ. فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَقاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.[1] فكانت بعدها غزوة بدر الكبرى التي خرج فيها الرسول ﷺ ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا. بينما كان قوام جيش قريش نحو ألف وثلاثمائة مقاتل ومائة فارس وقائده العام أبو جهل بن هشام.[2]

كان النَّصر في غزوة بدر نصرا عسكريا ومعنويا وسياسيا، وأدركت العرب أن قوة جديدة قد نشأت في الجزيرة العربية، الانتماء فيها أولا للإسلام وليس القبيلة.

المناوشات مع قريش وبعض القبائل العربية بعد غزوة بدر الكبرى: استمر النشاط العسكري بعد غزوة بدر الكبرى وكان عددها ست غزوات وسارية واحدة.أولها غزوة بني سليم خرج النَّبي ﷺ إلى بني سليم من قبائل غطفان التي كانت تمهد لغزو المدينة في شوال من السنة الثانية للهجرة، بعد العودة من بدر بسبعة أيام.[3] ثم غزوة السويق وقعت في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة بعد بدر بشهرين. سببها أن أبا سفيان أغار على بعض ضواحي المدينة يقال لها العريض، فخرج النَّبي ﷺ يطارد أبا سفيان ومن كان معه، وحتى لا يلحق بهم المسلمون تخلصوا من سويق كثير يريدون تخفيف حملهم، فتمكنوا من الإفلات.[4] ثم غزوة بني قينقاع يوم السبت منتصف شوال من السنة الثانية

[1] سورة البقرة، آية: 190، 191، 192، 193.

[2] ابن هشام، المصدر السابق، ج 1 ص 606 فما بعدها؛ المباركفوري، مرجع سابق، ص 144 فما بعدها.

[3] المصدر السابق، ج 1 ص 606 فما بعدها؛ المرجع السابق، ص 144 فما بعدها.

4 نفس المصدر، ص 2 ص46؛ نفس المرجع، ص 173، 174.

للهجرة، سببها المباشر اعتداء يهودي من بني قينقاع على امرأة مسلمة في السوق،[1] فأمرهم أن يخرجوا من المدينة، فاتجهوا إلى الشام. وقبض رسول الله ﷺ منهم أموالهم، وأخذ بعض أسلحتهم. وكان الذي تولى جمع الغنائم محمد بن مسلمة.[2] ثم غزوة ذي أمر في السنة الثالثة للهجرة، وهي أكبر حملة عسكرية قادها الرسول ﷺ قبل معركة أحد في شهر محرم من السنة الثالثة للهجرة، خرج ﷺ في أربعمائة وخمسين مقاتلا إلى بني ثعلبة الذين كانوا يريدون الإغارة على أطراف المدينة، فلما وصل إلى مكان يُعرف بذي أمر أقام هناك شهر صفر كله حتى يُظهر قوة المسلمين، ثم رجع إلى المدينة.[3] ثم غزوة بحران قوامها ثلاثمائة مقاتل في شهر ربيع الآخر من السنة الثالثة للهجرة، ذكر ابن هشام أن النَّبي ﷺ كان يريد قريشاً، أقام المسلمون ببحران شهر ربيع الآخر ثم جمادى الأولى دون قتال.[4] ثم سرية زيد بن حارثة قوامها مائة رجل وقعت في جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة، جاءت بعد وصول أنباء عن قافلة سلكت طريقا جديدا يخترق نجد إلى الشام، ويمر شرق المدينة على مسافة بعيدة منها، تجنبا لغارات المسلمين على طريق الساحل. غير أن هذا الإجراء السري وصل خبره إلى المدينة. وكانت حصيلة السرية أن غنم المسلمون من القافلة أموالا من الفضة.[5]

غزوة أحد السبت 7 شوال 3هـ: وقعت غزوة أحد بعد سنة من غزوة بدر. أرادت قريش أن تنتقم من المسلمين بعد انتصارهم في أحد، وأن ترد الاعتبار لنفسها بين القبائل في شبه الجزيرة العربية. وقد جمعت لهذه المعركة ثلاثة آلاف محارب منهم مائتي فارس. خرجوا يريدون المدينة، ومعهم النّساء

1 عَنِ ابن عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا»، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا، لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ}. أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (ت 275هـ/888م) سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (د ر ط)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج 3 ص154.

2 ابن هشام، مصدر سابق، ج 2، ص47، 48،49؛ المباركفوري، مرجع سابق، ص 168 فما بعدها 174.

3 نفس المصدر، ج 2، ص46؛ نفسه.

4 نفس المصدر، ج 2 ص46؛ المرجع السابق، ص 178.

5 نفس المصدر، ج 2 ص50؛ نفس المرجع، ص 178،179، 180.

وكُنَّ خمس عشرة امرأة يقودهم أبو سفيان. كان عدد القتلى من المسلمين في غزوة أحد سبعين مقاتلا، خمسة وستون من الأنصار منهم واحد وأربعون من الخزرج، وأربعة وعشرون من الأوس، وأربعة من المهاجرين، ومقاتل من اليهود. أما المشركون فقُتل منهم سبعة وثلاثون رجلا.[1]

وقد كانت هذه المعركة مليئة بالعبر والدروس، أهمها أنها أظهرت المستوى العالي لقيادة الرسول ﷺ في حال النكسة العسكرية، منها قراره بالخروج في صباح اليوم المولي إلى غزوة حمراء الأسد.[2] كما أظهرت مدى صمود المسلمين وثباتهم وبيَّنتْ في نفس الوقت استمرار كيد المنافقين، فقبل المعركة تمرد عبد الله بن أبيّ وأصحابه في نحو ثلاثمائة رجل وانسحبوا من جيش المسلمين.[3]

لقد أعطت مجريات معركة أُحُد أعراب البادية جرأة في الاعتداء على المسلمين، فبعد أقل من شهر ظهرت نوايا بني أسد للإغارة على المدينة، فبعث النَّبي ﷺ إليهم سرية بقيادة أبي سلمة عبد الأسد المخزومي.[4] ثم كانت مكيدة قبائل عضل وقارة في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة، قُتل فيه ستة أو عشرة من الصحابة أو ما يعرف بيوم الرجيع.[5] في نفس الشهر قامت بنو عامر بمكيدة مثلها، فقتلت سبعين من الصحابة، وتعرف هذه الوقعة بوقعة بئر معونة.[6]

كما تجرأت بنو النضير في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة، بتدبير مكيدة اغتيال النَّبي ﷺ، فقام بإجلائهم. وهمت بنو غطفان بغزو المدينة في جمادى الأولى من السنة الرابعة للهجرة،[7] فبعث النَّبي ﷺ عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان الهذلي في شهر محرم من نفس السنة وقضى على

1 المباركفوي، مرجع سابق، ص 221.
2 نفسه.
3 نفس المرجع، ص 186.
4 نفس المرجع، ص 229.
5 ابن هشام، مصدر سابق، ج 2، ص 169 فما بعدها؛ المرجع السابق، ص230 فما بعدها.
6 نفس المصدر، ج 2 ص183 فما بعدها؛ المرجع السابق، ص 232 فما بعدها.
7 نفس المصدر، ج2 ص190؛ المرجع السابق، ص 233 فما بعدها.

التمرد.[1] ثم كانت غزوة نجد أو غزوة ذات الرقاع في الربيع الثاني أو جمادي الثاني من السنة الرابعة للهجرة، قادها النَّبي ﷺ على البدو من بني محارب وبني ثعلبة من غطفان.[2]

في شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة، خرج الرسول ﷺ لغزوة بدر الثانية أو بدر الموعد أو بدر الصغرى ينتظر المشركين ثمانية أيام. غير أن أبا سفيان فضَّل تجنب الصدام وعاد إلى مكة.[3] ثم غزوة دومة الجندل على عرب شمال المدينة ومشارف الشام الذين كانوا يقطعون الطريق في ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة. وتُبين هذه الغزوة اتساع نطاق العمليات العسكرية للمسلمين في المكان وفي الأهداف، فصاروا يعملون على توطيد الأمن وسلامة الطرق التجارية، وشن حملات استباقية لردع أي عمل عدائي على المسلمين، كان ذلك بخروج النَّبي ﷺ للغزو وإرسال السرايا.[4]

غزوة الأحزاب ابتداء من شوال 5هـ: تعد معركة الأحزاب حدثا مفصليا في تاريخ الدعوة وتاريخ المواجهة مع قريش خاصة وقبائل العرب عامة. بدأت ملحمة الأحزاب أو الخندق في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، وكان نهاية الحصار في ذي القعدة، وعند ابن سعد أن انصراف رسول الله ﷺ من الخندق كان يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة.[5] وقد تميزت معركة الأحزاب أو الخندق بميزات لم تعرفها المعارك السابقة إذ شهدت تحالف أطراف عديدة من قريش والقبائل العربية: غطفان بتحريض من يهود بني النضير، وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة، وبني سليم، وبني مره، وبني أشجع يقودهم مسعر بن رخيلة بنو أسد وغيرها. وانضم إلى هذا التحالف الكبير يهود بني قريضة والمنافقون من داخل المدينة.

كانت غزوة الأحزاب على شكل حصار طويل المدى، امْتُحِن فيه المسلمون في إيمانهم وصبرهم وانضباطهم وتفانيهم في الدفاع عن المدينة. كما كانت معركة أعصاب وذكاء. فَحفْر

1 المباركفوري، مرجع سابق، ص 230.
2 نفس المرجع، ص 237.
3 ابن هشام، مصدر سابق، ج2 ص209؛ المرجع السابق، ص 238.
4 نفس المصدر، ج2 ص213؛ نفس المرجع، ص 239
5 نفس المصدر، ج2 ص214؛ نفس المرجع، ص 241.

الخندق بنصيحة من سلمان الفارسي رضي الله عنه، دلالة واضحة على أن النَّبي ﷺ كان يتقن توظيف الكفاءات المتوفرة عند المسلمين. وكانت المعركة حرب دهاء ومكيدة باستعمال النَّبي ﷺ نعيم بن مسعود رضي الله عنه، الذين كان يكتم إيمانه في الإيقاع بين العرب وحلفائهم من بني قريضة.

كان الانتصار في النهاية بفضل من الله سبحانه وتعالى، ثم بما بذله المسلمون من جهود فتقهقرت الأحزاب المتحالفة وكان هذا الانهزام بادرة لفتح مكة. وانتقال المسلمين من الدفاع وحرب الاستنزاف إلى الهجوم، قال سليمان بن سرد رضي الله عنه سمعت النَّبي ﷺ يقول «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم».[1] ومن صور التلاحم بين القيادة النَّبوية والأصحاب ما جاء في البخاري عن أنس: "خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم. فلما رأى النَّبي ﷺ ما بهم من النصب والجوع قال:

اللَّهُمَ إِنَ العَيْشَ عَيْشَ الآخِرةِ ... فَاغفِرْ للأنْصَارِ وَالمهَاجِرَة

فقالوا مجيبين له:

نَحْنُ الذِينَ بَايَعُـوا مُحَمَّدَا ... عَلى الجِهَـادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا

وفيه عن البراء بن عازب قال: رأيته ﷺ ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب، ويقول:

اللَّهُمَ لَوَلا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَقْنَا وَلاَ صَلَيْنَا

فأنْزِلَنَ سَكِينَة عَلَينَـا ... وَثَبِتِ الأَقَدَامَ إِنْ لَاقِينَا

إِنَ الأُولى قَدْ بَغُوا عَلَيْنَـا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَة أَبَيْنَا

[1] البخاري، مصدر سابق، ج 5 ص110.

قال: ثم يمد بها صوته بآخرها.[1] وعن صبرهم على الجوع قال أنس: "كان أهل الخندق يؤتون بملء كفي من الشعير، فيصنع لهم بإهالة سَنِخَة توضع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن".[2]

مرحلة الفتوحات والتوسع من 5هـ إلى 8هـ: بدأت هذه المرحلة بعد غزوة الخندق. استهلها النَّبي ﷺ بمعاقبة يهود بني قريضة المتآمرين مع الأحزاب. فحاصر المسلمون حصنهم مدة خمس وعشرين يوما في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة، ثم استولوا عليه وأعدموا الرجال لخيانتهم العهود وتآمرهم مع قريش في حصار الأحزاب، وغنموا أموالهم وسبوا النساء والأطفال.[3]

ثم سار الرسول ﷺ نحو بني المصطلق في شهر شعبان من السنة السادسة للهجرة، وقد خرجوا يريدون حرب المسلمين، فانتصر عليهم وتعرف هذه الغزوة بغزوة المريسيع نسبة لماء كان لبني المسطلق.[4] ثم تلتها غزوة بَنِي لِحْيَانَ جمادي الثانية في السنة السادسة للهجرة.[5] وغزوة ذي قرد خرج فيها الرسول ﷺ مباشرة بعد عودته من غزوة بني لحيان لمعاقبة غطفان التي أغارت على إبِل للمسلمين بالمدينة.[6]

ومن أهم الأحداث التي سبقت فتح مكة وقعة الحديبية. إذ خرج الرسول ﷺ في غرة ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، في ألف وأربعمائة، أو ألف وخمسمائة معتمراً بسلاح خفيف من السيوف. فحاولت قريش صد المسلمين عن البيت بإرسال خالد بن الوليد في مائتي فارس إلى ذي طوى، وهناك صلَّى المسلمون صلاة الخوف. ثم غيَّر الرسول ﷺ مجتنبا القتال متخذا طريقا وعرا

---

1 ابن هشام، مصدر سابق، ج 4 ص 25.

2 سَنِخَة أي متغيرة الرائحة فاسدة الطعم البخاري، المصدر السابق، ج 4 ص 25.

3 المصدر السابق، ج 2 ص 233 فما بعدها؛ المباركفوري، المرجع السابق، ص256.

4 نفس المصدر، ج 2 ص 289؛ المباركفوري، المرجع السابق، ص262.

5 نفس المصدر، ج 2 ص 279، 280.

6 نفس المصدر، ج 2 ص 281 فما بعدها.

في الشعاب حتى وصل الحديبية. ولما وصلها المسلمون، منعوا من الدخول إلى مكة، فبدأت وساطات بين النَّبي ﷺ والمشركين، فجاء بديل بن ورقاء الخزاعي، ثم رجل من كنانة اسمه الحليس بن علقمة، ثم أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي.

تواصلت المفاوضات رغم محاولة بعض شباب قريش إفسادها، فقد تسللوا إلى معسكر المسلمين غير أنه تمَّ اعتقالهم. ثم كانت سفارة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولما احتبسته قريش وشاع أنه قد قُتِل عقد النَّبي ﷺ بيعة الرضوان. في الأخير بعثت قريش سهيل بن عمرو لعقد الصلح مع النَّبي ﷺ المعروف تاريخيا بصلح الحديبية، الذي كانت بنوده ما يلي:

- لا يدخل المسلمون مكة حتى إذا جاء العام الذي يلي تلك السنة يقيمون فيها ثلاثا آمنين، معهم سلاح الراكب.
- وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين.
- منْ أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. فدخلت خزاعة في عهد المسلمين ودخلت بنو بكر في عهد قريش.
- من أتى محمَّدًا من قريش هاربا منهم ردَّه عليهم، ومن جاء قريشا هاربا منه لم يرد عليه.

وفي هذه الظروف التي عقد فيه النَّبي ﷺ الصلح خرج أبو جندل بن سهيل في قيوده من مكة، يريد اللحاق بالمسلمين لكن النَّبي ردَّه تنفيذًا للصلح.[1] أما النِّساء المهاجرات فكان النَّبي ﷺ يأبى ردهم إلى قريش ، وأنزل الله في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾،[2] بينما طلَّق المسلمون زوجاتهم الكافرات بهذا الحكم.

---

[1] ابن هشام، مصدر سابق، ج 2 ص 308 فما بعدها؛ المباركفوري، مرجع سابق، ص 273.

[2] سورة الممتحنة، آية: 10.

لم يستسغ الصحابة بعض بنود المعاهدة، كان أولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فامتنع عن محو كلمة رسول لله من الصحيفة حتَّى محاها النَّبي ﷺ بنفسه. فغلبهم الحزن لما علموا أنهم ليسوا بداخلين المسجد الحرام، وتصوروا في أذهانهم أن المعاهدة انهزام وتنازل للمشركين.

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من القِلَّة الواثقة فيما عقده الرسول ﷺ مع قريش، لا يتزحزح عن موقفه وتصديق صاحبه حين يرتاب غيره. فلما جاءه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مبديا خيبةً وحزنًا من بنود المعاهدة مكررا نفس الأسئلة التي طرحها على النَّبي ﷺ، فكان ردُّ أبي بكر الصديق رضي الله عنه بنفس ما أجاب به النَّبي ﷺ. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ".[1] هكذا كان الصديق وفيًا لعهده في دعم النَّبي في كل الظروف. ثم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.[2]

أكدت الأحداث بعد مدة أن صلح الحديبية كان فتحًا مبينا للمسلمين، ففي السنة الموالية للصلح خرج النَّبي ﷺ في نحو ألفين من الصحابة سوى النِّساء والصبيان لأداء عمرة القضاء.[3] كما اتسع مجال الدعوة الإسلامية بسبب الأمن ففي أوائل السنة السابعة للهجرة، أسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة.[4]

---

[1] البخاري، مصدر سابق، ج3 ص193.

[2] سورة الفتح، آية: 1، 2، 3.

3 المباركفوري، المرجع السابق، ص 322 فما بعدها.

[4] نفس المرجع، ص 283، 284.

وانفلت كثير من المستضعفين المسلمين من اضطهاد قريش وأنشئوا لهم عصابة فيعترضون عير قريش المتجهة إلى الشام في مقدمتهم أبو بصير رجل من ثقيف وأبو جندل بن سهيل.[1] وبقوا على هذه الحال حتى ضمَّه النَّبي ﷺ إليه بطلب من أهل مكة. وكثَّف النَّبي ﷺ النشاط الدعوي فكاتب الملوك والأمراء في أواخر السنة السادسة.[2] فأرسل كتابا إلى النجاشي ملك الحبشة[3] وكتابا إلى المقوقس ملك مصر.[4] وكتابا إلى كسرى الدولة الساسانية،[5] وكتابا إلى قيصر الدولة البيزنطية.[6] كما أرسل كتبًا إلى أمراء وشيوخ العرب في البحرين[7] واليمامة[8] ودمشق[9] وعمان.[10] يقول المباركافوري أن النَّبي ﷺ بهذه الكتب يكون قد بلَّغ دعوته إلى أكثر ملوك العالم القديم، تظهر الدعوة الإسلامية على أنها دعوة عالمية، إنسانية شاملة ليست خاصة بعنصر أو بقوم أو بجماعة معينة.[11]

في المجال العسكري خاض المسلمون عدَّة غزوات، في مقدمتها غزوة خيبر، أجلى فيها يهودها في المحرم من السنة السابعة للهجرة،[12] وأخضعوا يهود فدك،[13] ويهود وادي القرى، ويهود تيماء. وكانوا موزعين في حصون عديدة وقلاع، ثم رجع النَّبي ﷺ إلى المدينة في أواخر صفر أو في ربيع الأول من نفس السنة.[14]

---

[1] المباركفوري، مرجع سابق، ص 285.

[2] نفسه.

3 نفس المرجع، ص288.

4 نفس المرجع، ص290.

5 نفس المرجع، ص290، 291.

6 نفس المرجع، ص291.

7 نفس المرجع، ص294.

8 نفس المرجع، ص294، 295.

9 نفس المرجع، ص295.

10 نفس المرجع، ص 296، 297.

11 نفس المرجع، ص298.

12 نفس المرجع، ص304 فما بعدها.

13 نفس المرجع، ص314.

14 نفس المرجع، ص314 ، 315.

جمع المسلمون من خيبر وباقي اليهود مغانم كبيرة يؤكده ما جاء في البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر".[1] كما ردَّ المهاجرون إلى الأنصار ما قاسموهم من النخيل.[2] وواصل المسلمون حملاتهم على الأعراب الذين ألفوا حياة التمرد والسلب والنهب. فكانت غزوة ذات الرقاع في شهر ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة.[3]

وفي المجال الدعوي أرسل النَّبي ﷺ السرايا داعية ومؤدبة لقبائل البدو.[4] ووصلت طلائع المسلمين إلى مشارف بلاد الشام في حياة الرسول ﷺ، فكانت غزوة مؤتة في شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة/أغسطس أو سبتمبر 629 م، معركة ممهدة لفتوح ما وراء جزيرة العرب بعد وفاة النَّبي ﷺ،[5] وتُوجَتْ الانتصارات التي حققها المسلمون بعد صلح الحديبية بفتح مكة، بعد أن أغار بنو بكر حلفاء قريش على خزاعة الموالين للمسلمين يومي الثلاثاء والأربعاء 17 و18 رمضان من السنة الثامنة للهجرة.[6]

بعد فتح مكة، بدأت مرحلة بسط النفوذ الإسلامي على كل الجزيرة العربية، واستمرت إلى وفاة الرسول ﷺ. فتوالت الانتصارات في غزوة حنين التي جرت في الثامن شوال من السنة الثامنة للهجرة على قبائل بطون هوازن وثقيف، ومن انضم إليها من نصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال وكلها من قيس عيلان. ثم غزوة الطائف في نفس الشهر، إذ تابع فيها المسلمون مطاردة

---

1 البخاري، مصدر سابق، ج5 ص140.

2 المباركفوري، مرجع سابق، ص 311 فما بعدها.

3 نفس المرجع، ص 320، 321 ،322.

4 نفس المرجع، ص 325 فما بعدها.

5 ابن هشام، مصدر سابق ج 2 ص 377؛ المرجع السابق، ص 326.

6 المصدر السابق، ج 2 ص 389 فما بعدها؛ المرجع السابق، ص 333 فما بعدها.

فلول هوازن وثقيف الذين دخلوا الطائف.[1] ثم غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة لمواجهة الروم والغساسنة،[2] ثم غزوة دومة الجندل.[3]

وبعد عودة رسول الله ﷺ من غزوة تبوك في رمضان من السنة التاسعة للهجرة، أقبلت عليه الوفود من سائر أنحاء الجزيرة العربية معلنة إسلامها وبيعتها، وقبولها الدخول تحت سيادة الدولة، وكان الرسول ﷺ يعين عليهم الأمراء والقضاة، وجامعي الزكاة. ومن هذه الوفود،[4] وفد عبد القيس ووفد دوس ورسول فروة بنو عمرو الجذامي من القادة العرب في جيش الروم في بلاد الشام، ووفود صدأ من اليمن في شهر صفر، ووفد بلي في شهر ربيع الأول، ووفد بني فزارة وغيرها من الوفود.[5] وفي فترة وجيزة بعد فتح مكة، انتشرت الدعوة الإسلامية، وامتد نفوذ الدولة من اليمن إلى عمان والبحرين بالإضافة إلى مكة والطائف وأصبح على كل هذه المناطق ولاة من قبل الرسول ﷺ وإلى جانبهم قضاة ومعلمون وجباة.[6]

بعد أن أتم النَّبي ﷺ أعمال الدعوة وبَسَطَ حكم الإسلام على أساس إثبات الألوهية والربوبية لله وحده في كل أصقاع الجزيرة العربية، وبعد أن وضع أسس المجتمع الذي يستظل تحت مضلة الإسلام بالمدينة، حجَّ النَّبي ﷺ حجة الوداع، فدخل مكة مُحرمًا صباح يوم الأحد 4 من ذي الحجة سنة 10 هـ. وأهم ما ميز حجة الوداع خطبته ﷺ بعرفة.[7]

بعد فراغه ﷺ من الخطبة نزل قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى

---

[1] المباركفوري، مرجع سابق، ص 353، 357.

[2] نفس المرجع، ص 364 فما بعدها.

[3] نفس المرجع، ص 370-371.

[4] عبد اللطيف عبد الشافي محمد، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي قراءة ورؤية جديدة، دار السلام، القاهرة، 2007. ص 158.

[5] المباركفوري، مرجع سابق، ص 376 فما بعدها.

[6] عبد اللطيف عبد الشافي محمد، مرجع سابق، ص 158.

[7] أنظر تفاصيل الخطبة في الملحق رقم 02.

النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[1] كانت حجة الوداع وخطبة الوداع ونزول هذه الآية، إيذانا بقرب رحيل النَّبي ﷺ عن هذه الدنيا بعد أن أدى رسالته.[2]

من أعماله الأخيرة ﷺ تجهيزه جيشا كبيرا في شهر صفر سنة 11 هـ، بقيادة أسامة بن زيد، وأمره أن يلج بالخيل حدود البلقاء والداروم من أرض فلسطين، غير أن الحملة لم تخرج بسبب مرض الرسول ﷺ، وتوقفت خارج المدينة، ولم يتحرك الجيش إلا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.[3]

توفي النَّبي ﷺ حين اشتدت الضحى من يوم الاثنين 12 ربيع الأول سنة 11 هـ. وقد بلغ من العمر ثلاث وستون سنة وأربعة أيام.[4] وبذلك ينتهي عهد النبوة بغياب الرسول ﷺ وتولى صحابته مهمة إكمال مهمة الدعوة.

ويتبيَّن في الأخير أن المجتمع المسلم المتميز عن المجتمع المكي الجاهلي خاصة ومجتمع جزيرة العرب قد قام فعلا في المدينة المنورة. واجهت المجتمع المسلم بالمدينة تحديات عديدة في مقدمتها التهديد الدائم لمشركي قريش والقبائل العربية، واستمر ذلك حتى غزوة الأحزاب، وتهديد الطابور الخامس القائم بين أظهر المسلمين يتمثل في تحريض يهود المدينة للمشركين وتحالفهم معهم، ومحاولات اغتيال النَّبي ﷺ، وقيام المنافقين في المدينة بنشر الإشاعات والتحريض على المسلمين وإثارة الفتن. استمرت الدعوة الإسلامية وتواصلت الانتصارات السياسية والعسكرية، ورغم كل التحديات فقد دخل العرب في الإسلام أفواجا بعد فتح مكة، وتوفي النَّبي ﷺ ودعوة الإسلام قد بلغت أطراف الجزيرة العربية كلها.

---

[1] سورة المائدة، آية: 3.

[2] المباركفوري، مرجع سابق، ص 388 فما بعدها.

[3] ابن هشام، مصدر سابق، ج2 ص 606؛ المرجع السابق، ص 393.

[4] نفس المصدر، ج2 ص 652؛ نفس المرجع، ص 404.

خريطة غزوات الرسول ﷺ[1]

[1] أبو خليل شوقي، مرجع سابق، ص 40.

الفصل الثالث

عهد الخلفاء الراشدين

1- مسألة الخلافة وشروطها

انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يعين للمسلمين خليفة له عليهم، ولم يوص لأحد من أصحابه بالخلافة، "كانت الخلافة لعهد النبي ﷺ غير مهمة، فلم يعهد فيها".[1] فوجد المسلمون أنفسهم بعد وفاته مباشرة يواجهون مشكلة خلافته في حكم الأمة الإسلامية. ما أدى إلى بروز أزمة سياسية بين المسلمين، وتصارع بعضهم على السلطة، وتألفت عدة أحزاب وفرق، سعت كل منها للحصول على الخلافة لمرشحها وفق نظرتها وتأويلها للنصوص الشرعية. فبعد وفاة الرسول ﷺ ظهرت ثلاثة تكتلات أو اتجاهات حول مسألة الخلافة هي:[2]

التكتل الأول: من الأنصار الذين أيدوا اختيار سعد بن عبادة الخزرجي.

التكتل الثاني: من المهاجرين، وقد أجمعوا في نهاية الأمر عل اختيار أبي بكر.

التكتل الثالث: معظمها من الهاشمية، وكانت تميل إلى علي بن أبي طالب.

والخلافة نظام مستحدث أملته الظروف بعد وفاة النبي ﷺ. وهي في مفهومها "موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا".[3] أو هي: "حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا".[4]

---

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، مج 1، ص 377.

[2] الدوري عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007. ص 56.

[3] الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت 450هـ))، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989. ص 3.

[4] ابن خلدون، مصدر سابق، مج 1، ص 377.ص 386.

والخليفة بهذا المفهوم يجمع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، باعتباره إماما للمسلمين ويسهر على تطبيق العدالة وحماية الدين وينظر في مصالح المسلمين الدنيوية.

وقد وضع ابن خلدون خمسة شروط للخليفة وهي: العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء والنسب القرشي،[1] وكذلك الماوردي في كتابه احكام السلطانية يشترط أن يكون الخليفة من قريش.[2] واشتراط النسب القرشي كان بهدف دفع التنازع بين المسلمين لأن القائم بأمورهم، لا بد أن يكون من قوم أولي عصبية قوية.[3] وليس من شروط الخلافة مبدأ الوراثة الذي اعتمد عليه الأمويون والعباسيون وبقية الدول الإسلامية الأخرى التي نشأت بعد الخلفاء الراشدين. فقد تحول نظام الخلافة منذ قيام الدولة الأموية إلى ملك استبدادي قائم على النظام الوراثي، على غرار ما كان معروفا عند الفرس والروم. وابتعد الأمويون عن تطبيق نظام الخلافة الراشدة القائم على الشورى، واعتمدوا على توريث منصب الخليفة، فاستحالت الخلافة منذ ذلك الحين إلى ما يشبه النظام الملكي. ثم تطور في العصر العباسي فأصبح الخليفة يحكم بتفويض من الله لا من الرعية، ولذلك ظهرت الألقاب الخلافية المضافة إلى الله تظهر منذ قيام الدولة العباسية. وحتى حكام الدولة الفاطمية، بل إنهم ادعوا العصمة من جميع الخطايا مع الاحتفاظ بلقب الإمام.[4]

2- البيعة للخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (11-13هـ).

تولى أبو بكرعبد الله بن أبي قُحَافَة عثمان بن عامر ابن كعب التيمي الخلافة في ظروف تميزت بعموم الحزن في أوساط المسلمين. في نفس الوقت بدأ يظهر خطر انقلاب القبائل المحيطة بالمدينة التي بدأت ترتد وتستعد لمهاجمة المدينة، فكان على المسلمين الإسراع في تعيين خليفة للرسول الله ﷺ وملء شغور منصب القيادة.

---

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، مج 1، ص 342.

[2] الماوردي، مصدر سابق، ص 5.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، مج 1، ص 345-347.

[4] سالم السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص 155-156.

بدأ النقاش حول أمر الخلافة لما اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار سعد بن عبادة خليفة دون حضور المهاجرين، فالتحق بهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، بينما كان العباس وعلي والفضل وقثم ابني العباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ مشتغلون بتجهيز النَّبي ﷺ ليدفن. فجرت مناقشات بين المهاجرين والأنصار، انتهت باتفاق على أن تكون الخلافة في قريش ومبايعة أبي بكر الصديق خليفة.[1] فبايعه باقي الصحابة، ثم بايعه النَّاس بيعة عامة. وتضاربت الروايات في كتب الحديث وعند المؤرخين حول بيعة علي بن أبي طالب والعباس وبعض الصحابة،[2] لكن أصح الروايات تتجه إلى أن الصحابة بايعوا أبا بكر ومنهم علي. وفي رواية للبخاري أنه بايع بعد ستة أشهر، وفي رواية أخرى شهد البيعة العامة وإن كان قد غَضِبَ لعدم إشراكه أمر المشورة.[3]

3- البيعة للخليفة عمر بن الخطاب (13 ذو القعدة 23هـ).

لم يَغبْ مبدأ الشورى في تولية عمر بن الخطاب الخلافة مثلما كان الأمر في تولية أبي بكر رضي الله عنهما. فلما مرض أبو بكر رضي الله عنه استشار الصحابة في أمر الخلافة بعده فقال: "إني قد نزل بي ما ترون ولا أظنني إلا مماتي ... فأمروا عليكم من أحببتم فإنكم إن أمرتم عليكم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا بعدي". فتشاور الصحابة فيما بينهم ثم عادوا إلى أبي بكر وطلبوا منه أن يختار لهم خليفةً من بعده. فأخذ بعض الوقت ثم استدعى عثمان واستشاره فأشار عليه

[1] البخاري، المصدر السابق، ج5 ص 6؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج 2 ص 656 فما بعدها.

[2] الشنقيطي محمد بن المختار، الخلافات السياسية بين الصحابة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 3، بيروت، 2015. ص 224-234.

[3] ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت 354هـ))، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق وتصحيح الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، ط 3، دار الكتب الثقافية، بيروت، 1996م؛ خالد كبير علال، بحوث حول الخلافة والفتنة الكبرى خلال العهد الراشدي، دار كنوز الحكمة الجزائر، 2009م، الجزائر. ص 3 فما بعدها.

بتولية عمر بن الخطاب، فأمر أن يكتب له عهدا يولي فيه عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي رضي الله عنهم. فتمت البيعة لعمر عن طريق ولاية العهد.[1]

4- البيعة للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (24 ذو الحجة 35هـ)

لما تعرض عمر بن الخطاب لعملية الاغتيال على يد أبي لؤلؤة فيروز، غلام المغيرة بن شعبة ولم يكن مسلما، طعنه بخنجر مسموم ست طعنات إحداهما تحت سرته، وهي التي قتلته.[2] وقبيل وفاته رشح ستة من الصحابة لتولي الخلافة، وأوصى ابنه عبد الله بعقد مجلس للشورى، يتم فيه البيعة لأحد الصحابة الستة الذين اختارهم، وهم: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، وعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وسعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف الزهري، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث الزهري، والزبير بن العوام بن خويلد الأسَدي، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي. ولكنهم بعد حوار طويل بينهم، أوكِل أمر اختيار الخليفة لعبد الرحمن بن عوف. قام هذا الأخير بالاتصال بين الصحابة، ومحاولة تقريب وجهات النظر والآراء بينهم، وبعد أخذ ورد، في الكلام وطرح الآراء بين الصحابة، جمع عبد الرحمن بن عوف الصحابة، وبايع لعثمان ثم بايع باقي الصحابة المهاجرون والأنصار وأمراء الجند والمسلمون،[3] حتى غشوه عند المنبر.[4] كان ذلك في 10 محرم سنة 24 هـ.[5] ويذكر ابن كثير أن عليا كان أول من بايع عثمان بالخلافة من أهل

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج 3 ص 419؛ ابن سعد المصدر السابق، ج 3ص 207؛ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ/1370م)، البداية والنهاية، دار الفكر، 1407 هـ/ 1986 م. ج 7 ص18.

[2] ابن جرير الطبري (أبو جعفر محمد)، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987. مج 2، ص 560.

[3] البخاري، مصدر سابق، ج 9 ص 78؛ الطبري، مصدر سابق ،4 ص 235 فما بعدها؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج 3، ص 45، 46؛ خالد كبير المرجع السابق، البحث الثاني، ص 21 فما بعدها.

[4] الطبري، مصدر سابق، مج 2، ص 580-587.

[5] جاء في المستدرك على الصحيحين: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَالَوَيْهِ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَرْبِيُّ، ثنا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «وَكَانَتْ بَيْعَةُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ عَشْرَةَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ».

الشورى، ويستبعد الروايات التي قيلت في احتجاج علي بن أبي طالب على مبايعة عثمان بن عفان، ويعتبرها مردودة على قائليها وناقليها من الشيعة وأغبياء القصاص.[1]

ومن العوامل التي ساعدت على مبايعة عثمان بن عفان:

1. سابقته في الإسلام
2. صاهر النبي ﷺ مرتين من ابنتيه رقية ثم أم كلثوم.
3. هجرته الأولى إلى الحبشة.[2]
4. كانت الأكثرية تريده خليفة.[3]
5. ضرورة حسم الأمر في أمر الخليفة قبل أن يفتتن الناس.[4]

5- البيعة للخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه (35-40هـ).

تولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر الخلافة إثر مقتل الخليفة عثمان بن عفان. كانت الظروف خطيرة حيث سيطر الخوارج الثائرون على المدينة، وأفلت الأمر من أيدي كبار الصحابة. ورفض علي بن أبي طالب البيعة حتى دفن عثمان رضي الله عنه، ثم بُويِعَ بيعةً عامة في المسجد.[5] قال ابن سعد: "بَايَعهُ بالخلافة طَلْحَة، والزبير، وسعد بن أَبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عَمْرو بْن نفيل، وعمَّار بن ياسر، وأسامة بن زيد حُنَيْف، وأبو أيوب الأنصَارِيّ، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان بالمدينة مِن أَصحاب رسول اللَّهِ ﷺ وغيرهم.[6]

---

[1] ابن كثير، مصدر سابق، مج 4، ج 7، ص 200.

[2] سالم السيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1973. ص 271.

[3] جعيط هشام، الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ط4، دار الطليعة، بيروت، 2000. ص 59.

[4] أبو جرير الطبري، مصدر سابق، مج 2، ص 583

[5] الطبري، مصدر سابق ،4 ص 365 فما بعدها و426 فما بعدها؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج 3ص 22، 23؛ خالد كبير مرجع سابق، ص 21 فما بعدها.

[6] ابن سعد، المصدر السابق، ج 3 ص 22، 23.

انتهت خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه باستشهاده، حيث اغتاله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي في 11رمضان سنة 40هـ. وبذلك ينتهي عهد الخلافة الراشدة.[1]

6- الخلافة الراشدة التحديات والإنجازات

كان على الصحابة بعد وفاة النَّبي ﷺ الاستمرار في طريق الدعوة ونشر الإسلام، خارج ربوع الجزيرة العربية، وقبل كل شيء الحفاظ على المكاسب الموروثة عن عهد النبوَّة.

ضمان استمرارية الدولة وفق مبدأ الشورى: لقد أظهر الصحابة رضي الله عنهم نضجا ووعيا كبيرا بضرورة اختيار خليفة للنبي ﷺ، خاصة مع تفاقم الردّة، إذ بمجرد انتشار خبر وفاة النَّبي ﷺ. كان نقاش السقيفة أول اختبار يجتازه المسلمون وينجحون فيه بالبيعة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. ومهما نقلت المصادر من أخبار حول هذا الحدث، فإنه يمثل بلا ريب مظاهر التطبيق الواقعي لمبدإ الشورى في اختيار الحاكم. ولم ينقطع هذا المبدأ في حياة المسلمين طيلة عهد الخلفاء الرشيدين، وإن تغيرت أشكاله فبعد استشارة أبي بكر للصحابة عند دنو أجله وتوكيلهم إياه بأن يستخلف من يراه أصلح للمسلمين، كتب ولاية العهد لعمر بن الخطاب. كذلك فعل الخليفة عمر بن الخطاب، فقد أوصى بمجلس يختار من بين أعضاءه خليفة، فتم مبايعة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

والجدير بالذكر أن الخلفاء الراشدين الذين تولوا الحكم، والصحابة الستة المشاركين في اختيار الخليفة بعد عمر رضي الله عنه، يضاف إليهم عبد الله بن عمر، كانوا من بطون متنوعة في قريش، ما يشير إلى أسمى معاني تطبيق مبدأ الشورى في اختيار الحاكم في التاريخ الإسلامي.

أما تولية علي بن أبي طالب لهذا المنصب فإنه تم في ظروف استثنائية اقتضت توليه الإمارة بعد مشورة أهل المدينة وأخذه البيعة العامة من أهل المدينة ضمانا لاستمرارية الدولة وتجنب شغور منصب

[1] الطبري، مصدر سابق، ج 5 ص 143، 158؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج 3ص 22، 23؛ ابن حبان، مصدر سابق، ج 2، ص 551-552.

الإمارة.[1] وعند بيعته كان يقول: "إن بيعتي لا تكون خُفيًا ولا تكون إلا عن رضا المسلمين". وكان أولى بها باعتباره أحد الاثنين اللذين كان على عبد الرحمن بن عوف الاختيار بينهما. وعند وفاته رضي الله عنه سأله الناس عن مبايعة الحسن فقال: "لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر".[2]

الحفاظ على مبدأ الشورى في تسيير شؤون الدولة: حافظ الخلفاء الراشدون على مبدأ الشورى في تسير الدولة، فكانوا يستشيرون الصحابة ويستفتونهم في شرح النص القرآني ويبحثون عندهم ما ورد من الأدلة في السنة النبوية لاتخاذ القرارات. ولا يعقدون أمرا يرتبط بضبط أمور الدولة في التشريع، والتسيير العام، واختيار العمال وقادة الجند، وتسيير الغزو إلا بعد المشورة.[3] قال عمر في مجلس من الصحابة: "والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك، فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم"، فقال أحد الصحابة: "يا أمير المؤمنين إن بينهما فرق، "قال: "وما هو؟" قال: "الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق. فأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف النَّاس فيأخذ من هذا ويعطي هذا".[4]

الحفاظ على بيت مال المسلمين: قَالَ الخليفة عمر بن الخطاب: "لا يَحِلُّ لِي مِن مالِ اللَّهِ إِلَّا حُلَّتَانِ حُلَّةٌ لِلشِّتَاءِ وَحُلَّةٌ لِلصَّيْفِ، وَقُوتُ أَهْلِي كَرجُلٍ مِنْ قُرَيش لَيسَ بِأَغْنَاهُمْ، ثُمَّ أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِين". وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يراقب العمال في مصاريف الدولة، فإذا استَعْمل عَاملًا كتب لَهُ عَهدًا وَأَشهدَ عليه رَهطا من الْمُهاجرينَ، وَاشترطَ عَلَيه أن لَا يَركبَ بِرْذوْنًا، وَلَا يَأكلَ نَقِيًّا، وَلَا يَلبس رَقيقًا، وَلا يُغلقَ بَابَهُ دُونَ ذوي الْحَجاتِ. فَإِن فعل شيئا مِن ذَلك حَلَّتْ عَلَيهِ الْعُقوبَة".[5] وقال عمر في المال: "وَإِنِّي لا أَجدُ هَذا الْمَال يُصلِحُهُ إِلا خِلالٌ ثَلاثٌ: أَن يُؤْخذَ بِالْحَقِّ، وَيُعطَى فِي الْحق،

---

[1] ابن حبان، مصدر سابق، ج 2، ص 452 فما بعدها، 500 فما بعدها.

[2] الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت 360هـ/970م)، المعجم الكبير تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة. 1415 هـ/ 1994 م. ج1 ص97 والطبري، ج 4 ص424.

[3] الجرجاني أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي (ت 371هـ/981م)، المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الاسماعيلي، تحقيق زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1410هـ. ج1، ص417.

[4] ابن سعد، مصدر سابق، ج3ص233.

[5] ابن كثير، مصدر سابق، ج7ص134.

وَيُمْنَع في الْبَاطِلِ؛ وَإِنَّما أَنا وَمالكم كوليِّ الْيَتيمِ إِن اسْتَغْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ، وَإِن افْتقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ".[1]

ضمان العدالة بين أفراد الرعية وسيادة القانون وحرية النقد: قال أبو بكر الصديق عند توليته عن حرية انتقاد الحاكم ومحاسبته: "أما بعد أيها الناس فإني قد وُلِيتُ عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني".[2] وقال عن مبدأ المساواة بين أفرا د المجتمع: "والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل. ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمَّهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ...".[3]

القضاء على ردَّة القبائل العربية: بعد وفاة النَّبي ﷺ وقيام القبائل العربية بالهجوم على المدينة المنورة، والامتناع عن دفع الزكاة وادعاء بعض العرب النبوة، قرر أبو بكر الصديق محاربة المرتدين، فوزع الجيوش على القبائل المرتدة بين سنتيّ 11 و12هـ، الموافقة لسنتيّ 632 و633م.

جعل اللواء الأول بِقيادة خالد بن الوليد، وأمره بقتال طُليحة بن خُويلد الأسَدِي وبني أسد، فإذا فرغ منه سار لِقتال مالك بن نويرة زعيم بني يربوع من تميم. وجعل اللواء الثاني بقيادة عِكرمة بن أبي جهل، ووجَّههُ لِقتال مُسيلمة بن حبيب الحنفي في اليمامة. وجعل اللواء الثالث لشرحبيل بن حسنة وجعله مددًا لِعِكرمة في قتال مُسيلمة، فإن انتهيا منه يلحق شرحبيل بقواته مددًا لعمرو بن العاص في قتال قضاعة. أمَّا اللواء الرابع، فجعله أبو بكر للمُهاجر بن أبي أمية المخزومي لِقتال الأسود العنسي في اليمن، ثم لِقتال عمرو بن معد يكرب الزبيدي وقيس بن مكشوح المرادي ورجالهما، ومن بعدهم يتوجه إلى الأشعث بن قيس الكِندي وقومه. واللواء الخامس فكان لِسويد بن مقرن الأوسي لِقتال تهامة اليمن، والسَّادس للعلاء بن الحضرمي لِقتال الحطم بن ضبيعة زعيم

[1] ابن كثير، مصدر سابق، ج7ص134.

[2] نفسه

[3] ابن هشام، مصدر سابق، ج2، ص661.

بني قيس بن ثعلبة ومُرتدي البحرين. وكان اللواء السابع لحذيفة بن محصن لِقتال ذي التاج لقيط بن مالك الأزدي الذي تنبأ في عُمان. والثامن لعرفجة بن هرثمة ووجَّهه إلى بلاد مُهرة. كما وجّه ثلاثة ألوية للشمال. فالتَّاسع لعمرو بن العاص لقتال قضاعة. والعاشر لمعن بن حاجز ا لسُلميّ لِقتال بني سُليم ومن معهم من هوازن. والأخير لخالد بن سعيد بن العاص ليصل إلى مشارف الشام.[1]

كان من نتائج الانتصارات على المرتدين في الجزيرة العربية أن توطدت سلطة الدولة التي حافظت على الوحدة السياسية للجزيرة العربية، وسلطة الحكم المركزي في المدينة. كما كانت فرصة لبروز قيادات عسكرية اشتهرت في الفتوحات الإسلامية، وصارت القبائل العربية لا تتجرأ على الارتداد عن الإسلام مرة أخرى. لقد استعمل الخليفة قدرات هذه القبائل المتمردة على سلطة الدولة وتوجيه كثير منها نحو الفتوحات الإسلامية. بعد تحكم الخلافة في الوضع الأمني بالجزيرة العربية، أمكن الانطلاق في المشروع الذي بدأه النَّبي ﷺ بنشر الإسلام خارج الجزيرة العربية.[2]

7- الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين.

وجه الخليفة أبا بكر رضي الله عنه جيوش المسلمين بعد القضاء على الردة نحو الفتوحات في بلاد العراق وبلاد الشام. بدأ بإرسال كتاب إلى خالد بن الوليد، وكان آنذاك في اليمامة، يأمره بالتوجه إلى العراق وأن يبدأ بالأبله. كما كتب إلى عياض بن غنم، يأمره بغزو العراق من أعلاه على أن يبدأ بالمصيخ، حتى يلقى خالدًا على أن تكون القيادة لمن يصل إلى الحيرة أولًا، وأمرهما بأن لا يكرها أحدًا على المضي معهما، وكان ذلك في محرم 12هـ/635م. واستمرت الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب حتى تم إسقاط الإمبراطورية الفارسية الساسانية سنة 16هـ/635م. ثم فتح

[1] الواقدي (محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، (ت 207هـ/822م))، الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، تحقيق يحي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 م. ص48 فما بعدها.

[2] طقوش محمد سهيل، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، 2003م. ص 89.

بلاد فارس بعد معارك كبيرة أشهرها معركة القادسية 13شعبان 15هـ/636م، وكان قائد جيش المسلمين سعد بن أبي وقاص.[1]

أما في بلاد الشام يخبرنا البلاذري أن أبا بكر سارع فور انتهائه من قمع قبائل الردَّة بتعبئة قبائل نجد، والحجاز، واليمن لغزو بلاد الشام، وعقد لفتح الشام أربعة ألوية في أول سنة 13هـ/635م، هي لواء يزيد بن أبي سفيان، ولواء شرحيل بن حسنة، ولواء عمرو بن العاص، ولواء أبي عبيدة عامر بن الجراح، عدَّة كل لواء نحو ثلاثة آلاف محارب.[2]

كانت معركة أجنادين في جمادي الأولى بقيادة خالد بن الوليد، ثم معركة اليرموك في جمادي الآخرة سنة 13هـ/634م بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، انتصارين حاسمين على البيزنطيين، فتحا الطريق إلى تحقيق المزيد من النجاحات العسكرية، وفتح مدنا هامة كدمشق في 20 رجب سنة13هـ/633م وبيت المقدس سنة 16 هـ، بعد حصار بدأ في شوال 16هـ /636م.[3]

كما اتجهت الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب إلى مصر منذ نهاية سنة 18هـ/639م وبداية سنة 19هـ/640م.[4] ثم بداية فتوحات بلاد المغرب بفتح عمرو بن العاص برقة صلحًا عام 22هـ/643م.[5] وتواصل نشاط جيش الفتح في عهد الخليفة عثمان بن عفان ليصل إلى إفريقية مع حملة عبد الله بن أبي سرح سنة 26هـ/646م، انتصر فيها على الملك جرجير في معركة سبيطلة 27-28هـ/ 647-648م، شارك فيها جمع من أبناء الصحابة، منهم معبد بن العَبَّاس بن عَبد المطلب، ومروان بن الحكم بن أبى العاصي بن أمية، والحارث بن الحكم أخوه، وعبد الله بن الزبير

---

[1] البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر بن داود (ت 279هـ/892م))، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988. ص138 فما بعدها.

[2] المصدر السابق، ص112 فما بعدها.

[3] الواقدي محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي (ت 207هـ/822م): فتوح الشام، دار الكتب العلمية، 1997. ص156 فما بعدها، ص 219 فما بعدها.

[4] المصدر السابق، ص 210 ،218، 220؛ طقوش، مرجع سابق، ص 296.

[5] ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم المصري (ت 257هـ/870م)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، 1415 هـ/1994م. ص197، 198؛ طقوش، مرجع سابق، ص 381.

بن العوام، والمسور ابن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وعبد الرَّحْمَنِ بن زيد بن الخطاب، وعبد اللَّه بن عمر بن الخطاب، وعاصم ابن عُمَر، وعُبَيد اللَّه بن عُمر وعبد الرَّحمن بن أَبِي بكر، وعبد اللَّه بن عَمرُو بن العاصي، وبسر بن أَبِي أرطاة بن عويمر العامري، وأبو ذؤيب خويلد بن خَالد الهذلي الشاعر وغيرهم.[1]

كما توغل المسلمون في الربوع الأرمينية في عهد عثمان،[2] وخرج معاوية على رأس حملته الأولى على الجزيرة عام 28هـ/649م، ثم للمرة الثانية في عام 33هـ/654م ففتحها عنوة.[3] كما فتح جزرا عديدة شرق بحر الروم.[4]

[1] البلاذري، مصدر سابق، ص 224 وطه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبيَّة: موجز عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة، (د ت ن). ص54.

[2] الواقدي، مصدر سابق، ج2ص132؛ البلاذري، مصدر سابق، ص 193.

[3] البلاذري المصدر السابق، ص153، 380، 381.

[4] طقوش، مرجع سابق، ص 378، 381.

خريطة الفتوحات الإسلامية في العهد النبوي وفي عهد الخلفاء الراشدين[1]

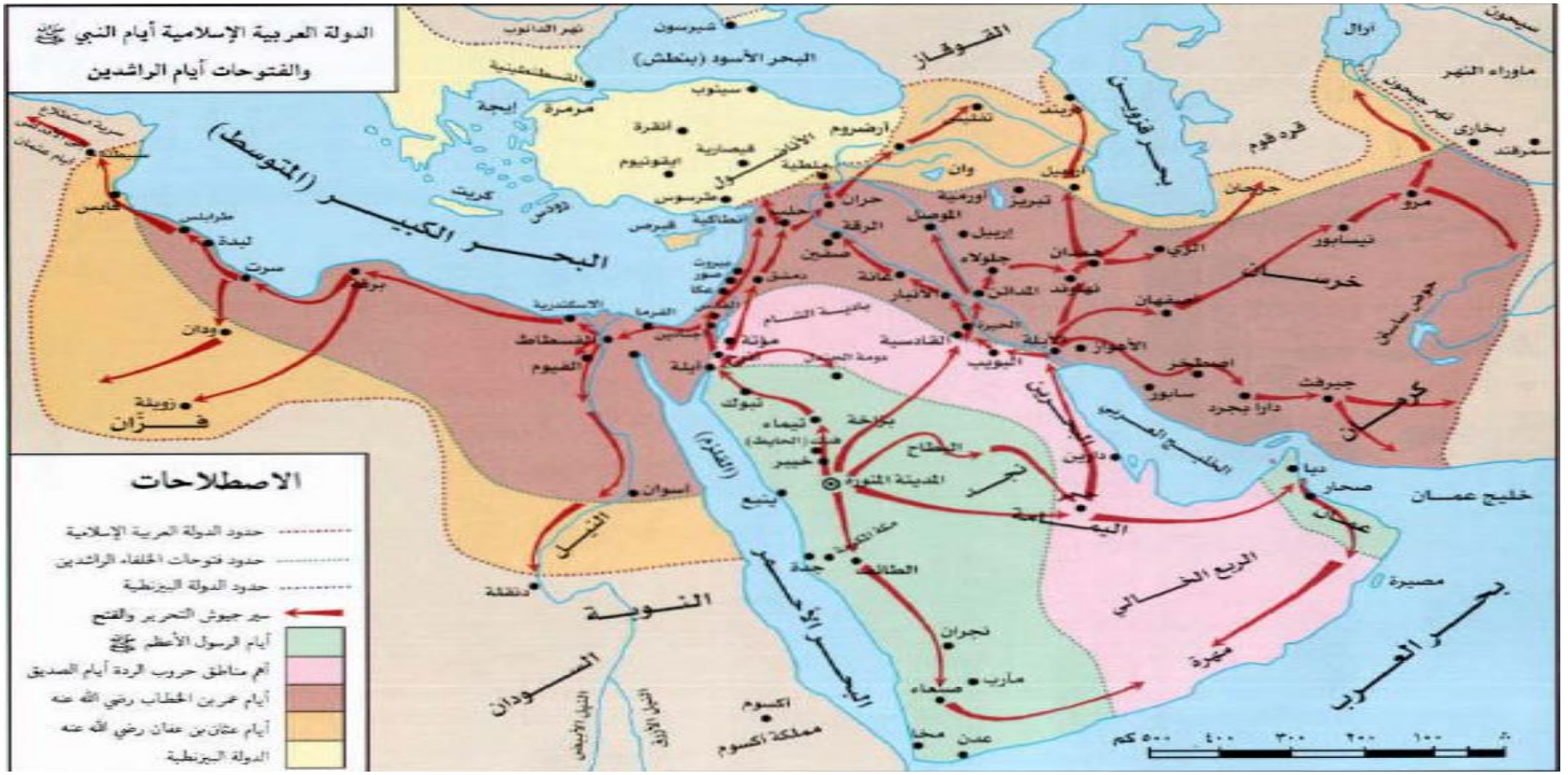

[1] أبو خليل شوقي، مرجع سابق، ص 43.

8- بعض أعمال الخلفاء في المجال الإداري والعلمي.

في الميدان الإداري كانت الدولة الإسلامية الفتية لا تحتاج إلى تنظيمات إدارية كبيرة، كما سيبرز ذلك منذ العهد الأموي. رغم ذلك اتخذ أبو بكر رضي الله عنه من يعينه في مهام التسيير من الصحابة المقربين كعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان. وفي الميدان المالي يظهر أن أبا عبيدة بن الجراح تولى تسيير الأمور المالية، قال للخليفة: "أنا أكفيك المال"، أي تولية أمور بيت المال. كما وُلي عمر بن الخطاب القضاء، وتولى زيد بن ثابت، وعثمان بن عفان الكتابة.[1]

وكانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما تولى الخلافة انجازات إدارية هامة تمثلت في إنشاء الدواوين، ووضع السجلات بعد استشارة الصحابة.[2] كما كان يعين القضاة في الولايات.[3] وكان الولاة في عهده يستعينون بالكاتب في ديوان الجيش، والخراج، وصاحب الأحداث (الشرطة)، وصاحب بيت المال، والقاضي، وهم جميعًا تحت إمرة الوالي ويعملون تحت إدارته.[4] جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي أن عمر بن الخطاب: "كان أول من سُمّي أمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ من الهجرة، وأول من اتخذ بيت المال، وأول من سنَّ قيام شهر رمضان، وأول من عسَّ بالليل، وأول من اتخذ الديوان، وأول من احتبس صدقة في الإسلام، وهو أول من استقضى القضاء في الأمصار، وأول من مصّر الأمصار: الكوفة، والبصرة، والجزيرة، والشام، ومصر، والموصل".[5]

وقام الخليفة الثالث عثمان بن عفان بجمع القرآن في مصحف واحد وتثبيت المسلمين عليه وكان الخليفة أبوبكر الصديق رضي الله عنه قد جمعه بعد استشهاد كثير من الصحابة حفاظ القرآن الكريم

---

1 وكيع (أبو بكرٍ محمد بن خلف بن حيان (ت306هـ/918م))، أخبار القضاة، صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، 1947. ج1 ص 104.

2 الطبري، المصدر السابق، ج3ص613.

3 وكيع، المصدر السابق، ج1 ص 106.

4 طقوش، المرجع السابق، ص322.

5 السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، 1425هـ/2004م. ص 110.

في معركة اليمامة. فأمر الصديق رضي الله عنه زيد بن ثابت بجمع القرآن، فأخذ زيد يتتبع عملية الجمع من الصحف، ومن الحفاظ فجمع القرآن في صحائف مرتبًا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النَّبي ﷺ، بقيت هذه الصحف عند أبي بكر الصديق، ثم عند عمر، ثم عند حفصة بنت عمر.[1]

لما وقع الاختلاف بين القراء في زمن عثمان رضي الله عنه. بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية وكتب النَّاس بذلك إلى عثمان، وقدم حذيفة بن اليمان من غزوة أرمينية، مؤكدا له ذلك، جمع عثمان المهاجرين والأنصار، وشاورهم في جمع القرآن في المصاحف على حرف واحد فلما أخذوا برأيه، أرسل عثمان إلى حفصة عمر بن الخطاب أن ترسل إليه بالصحف، فأمر زيد بن ثابت، وبعض الحفاظ فنسخوها في مصاحف واحد، وبعث بها إلى الأمصار، وأمر بحرق ما سوى ذلك من المصاحف.[2]

9- الفتنة الكبرى وقيام الخلافة الأموية سنة 41هـ/661م.

تحمل كلمة فتنة في اللغة عدة معاني، منها: الابتلاء والامتحان والاختبار والمحنة. وتحمل معنى الإعجاب والوله، فيقال "فَتنتْه المرأة إذا ولَّهته وأحبها". وتحمل معنى الضلال والإثم، والفاتن المضل عن الحق. والفاتن: الشيطان لأنه يضل العباد، ويفتن الناس عن الدين. وتحمل معنى ما يقع بين الناس من القتال، وجاءت أيضا بمعنى الحرق، فكل ما غيرته النار عن حاله فهو مفتون ... وغيرها من المعاني الكثيرة التي تحملها هذه الكلمة.[3]

أما في الاصطلاح، فيقصد بها الاضطرابات والتوترات التي اندلعت في أواخر عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه من بعض المستائين والناقمين على سياسته الذين طالبوا بعزله، وانتهت تلك الأحداث بقتله سنة 35هـ. واستمر الخلاف بين الصحابة حول مسألة الخلافة، وتطور الخلاف إلى

---

1 ابن أبي داود (أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت316هـ/928م))، كتاب المصاحف، تحقيق محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، القاهرة، ص52 فما بعدها.

2 السجستاني، مصدر سابق، ص88 فما بعدها.

3 ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري)، دار صادر، بيروت، (د ت)، مج 13، ص 317-321.

حرب أهلية بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، أدت إلى قتل علي بن أبي طالب ﷺ من طرف رجل من الخوارج.

يُعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 35هـ/656م، أول فتنة وقعت في التاريخ الإسلامي، وتعرف كذلك بالفتنة الأولى أدت لاضطرابات واسعة في الدولة الإسلامية طوال خلافة علي بن أبي طالب رض الله عنه. ويجب التنبيه إلى أن هذه الأحداث وردت فيها روايات كثيرة، يغلب عليها طابع الافتراء على الصحابة أو التعصب للشخص والمذهب والرغبة في زرع الشكوك والريب.

إذا عدنا إلى كتب الحديث فإن الروايات التي سردتها المصادر التاريخية أغلبها بعيد عن الصحة. لهذا يجب أخذ الحيطة عند تناول هذه الأحداث، والأخذ بالأخبار الصحيحة المحققة والسكوت عن الروايات غير المحققة. يقول الباحث خالد كبير علال: "فالخلافات السياسية هي التي مزَّقت الأمة الإسلامية وحوَّلتها إلى طوائف متناحرة متقاتلة منذ الفتنة الكبرى، إلى ما بعد قيام الدولة العباسية فأنتجت لنا بذلك إضافة إلى أسباب أخرى متعددة ما يعرف بمدرسة الكذابين في التاريخ الإسلامي".[1]

وتتمثل أهم تطورات الفتنة في الأحداث الآتية:

الفتنة التي أدت إلى قتل عثمان: بعد اغتيال عمر بن الخطاب سنة 23 هـ، لم تكن عملية اختيار خليفته سهلة بين الصحابة الستة الذين عينهم عمر، وهو المعروفون بأهل الشورى. ويبدو من خلال الروايات التي نقلتها المصادر أن التنافس كان شديدا بين علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان فقط، ويعتبر بعض الباحثين أن هذا التنافس لم يكن بين رجلين فقط، بل هو تنافس بين بني

1 خالد كبير علال، مدرسة الكذابين في التاريخ الإسلامي وتدوينه، دار البلاغ، الجزائر، 2003. ص 46.

هاشم وبني أمية، الذين تعاقب خطباؤهم[1] على المنبر يوم المبايعة.[2] وتبرز الأحداث السابقة، أن بعض بوادر الانقسام بين المسلمين، وبداية تشكل الأحزاب السياسية، قد بدأت في أوائل عهد عثمان بن عفان ﷺ.[3]

تولى عثمان بن عفان ﷺ الخلافة وهو في السبعين من عمره، أو تجاوزها قليلا، ودامت خلافته اثنا عشر سنة، تقسم إلى قسمين مدة كل منهما ست سنوات، الفترة الأولى هادئة، ساكنة ومرضية والثانية مضطربة ومتوترة، وهي التي أدت إلى مقتله سنة 35 هـ.[4] وكانت الدولة الإسلامية في عهده قد اتسعت وبلغت حدودا مترامية الأطراف، وتدفقت عليها الأموال والثروات من كل حدب وصوب، وغدا بيت المال يغص بالمال بعد عشر سنوات من الفتح المتواصل.[5] وتفتحت أعين الفاتحين على بيئات حضارية جديدة لم يشهدوها من قبل، وانتقل المسلمون من معيشة البساطة والزهد إلى معيشة الغنى والثراء، فهموا بالخروج عن بداوتهم والاستمتاع بالأموال المتدفقة، وبما أتت به الحياة الحضارية من ألوان الترف المباح الذي لا يتعارض مع الإسلام، فتأنقوا في مأكلهم ومشربهم وفي ملبسهم ومسكنهم. وكان عثمان في غاية الجود والكرم "جوادا وصولا بالأموال"،[6] باذلا للقريب والبعيد.[7] ولم يكن ذلك مألوفا في عهد عمر بن الخطاب الذي "فتح الفتوحات وكثر المال في

---

[1] أنظر النقاش والكلام الذي قيل بين بني هاشم وبني أمية يوم المبايعة في: ابن جرير الطبري، مصدر سابق، مج 2، ص 583؛ ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت630 هـ))، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ج 3، ص 35-39.

[2] جعيط هشام، مرجع سابق، ص 58.

[3] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط 14، دار الجيل، بيروت، 1996. ج 1، ص 209.

[4] جعيط هشام، مرجع سابق، 60.

[5] نفسه.

[6] اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن، 1883. ج 2، ص 201.

[7] سالم السيد، مرجع سابق، ص 272، 274؛ جعيط هشام، مرجع سابق، ص 60.

دولته"،[1] ورغم ذلك فقد كان حريصا على أن يلتزم المسلمون بعد الفتوحات حياتهم الأولى القائمة على الخشونة والتقشف والزهد خشية أن تجرفهم حياة الترف في المدن المفتوحة في تيارها.[2] حتى أنه مات فقيرا وسط ركام هائل من الثروات.[3]

وترتب عن هذه السياسة التي اتبعها عثمان بن عفان ﷺ أن "اتسعت الدنيا على الصحابة ... وكانت المدينة عامرة كثيرة الخيرات والأموال والناس، يجبى إليها خراج الممالك، ... فبطر الناس بكثرة الأموال والخيل والنعم، وفتحوا أقاليم الدنيا واطمأنوا وتفرغوا".[4] بينما كانت هناك طبقة فقيرة معدمة من المحاربين استقرت في الأمصار بعد الفتح، كانت مستاءة ومعارضة لهذه الطريقة في توزيع الثروة. وكانت ترى أن وارد الأراضي التي فتحوها هو حقها الطبيعي ويجب أن يصرف عليها لا أن يرسل إلى بيت المال في المدينة المنورة.[5] وظهرت بعض الشخصيات تحذر من أخطار تكديس الثروات مع وجود جماعات من الفقراء، وتدعو إلى البساطة الإسلامية وإلى التسوية والعدالة.[6] وينبن من هذا أن حال المجتمع الإسلامي قد تغير تماما في عهد عثمان بن عفان، وان هذا التغير أثار روح المعارضة لسياسة الحكومة والاستياء من تصرفاتها، وبعث على التمرد عليها، ووفر جواً ملائما ومهيئاً لقبول بعض الدعوات والأفكار التي راجت في الأمصار، وهي تنكر على عثمان وتنتقد سماحه لكبار الصحابة بالإثراء وبناء القصور.[7] وقد أنكر الناس على عثمان جملة أشياء لخصها الذهبي في قوله: "ثم أخذوا ينقمون على خليفتهم عثمان لكونه يعطي المال لأقاربه، ويوليهم الولايات الجليلة، فتكلموا فيه، وكان قد صار له أموال عظيمة –رضي الله عنه– وله ألف مملوك، وآل بهم الأمر إلى أن قالوا:

---

[1] الذهبي، (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. (ت 748هـ))، دول الإسلام، حققه، حسن إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، 1999. ص 17.

[2] سالم السيد، مرجع سابق، ص 273.

[3] جعيط هشام، مرجع سابق، 55.

[4] الذهبي، مصدر سابق، ص 23.

[5] الدوري عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007. ص 89.

[6] الدوري عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007. ص 18.

[7] ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 50.

هذا لا يصلح للخلافة وهموا بعزله".[1] إضافة إلى تهم أخرى وردت في المصادر يطول الحديث عنها.[2] والحقيقة أن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ تصرف كخليفة مجتهد في أمور الدولة والسياسة، فلا شيء يلزمه باتباع طريقة من سبقه في تسيير دواليب الدولة، مثل أبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب، وله مبرراته الخاصة التي دعته لاتخاذ بعض القرارات والإجراءات التي اجتهد فيها وكان يرى أنها ضرورية في عهده الذي شهد تدفق الأموال وتوسع الفتوحات واعتناق الإسلام من طرف شعوب وقوميات متعددة.[3]

وفي سنة 35 هـ، التي تمثل مأساة في تاريخ صدر الإسلام، حيث خرجت جماعة من المنحرفين الثوار على عثمان من مصر والكوفة والبصرة إلى المدينة تطالبه بالإصلاح. وكان عبد الله بن سبأ اليهودي الذي اعتنق الإسلام نفاقا، قد نجح في تأليب الأمصار على عثمان مستهدفا إشعال نار الفتنة بين المسلمين.[4] وزعم هؤلاء الوافدون إلى المدينة أنهم يريدون أداء العمرة حتى لا يستعد الخليفة لردهم. وكان هذا التصرف في حد ذاته يعني تدخلا صريحا من الأمصار في أمور السياسة العليا للدولة، واجتراء على هيبة الخلافة.[5] ولما نزلوا المدينة حاصروها ولزم أهلها بيوتهم، ثم توسط علي بن أبي طالب بين عثمان ووفد مصر، وأخبرهم بأن عثمان قد تاب، فسأله أهل مصر أن يعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح من ولاية مصر ويعين مكانه محمد بن أبي بكر الصديق، فأبلغ عثمان بذلك، وأقنعه به، فكتب عهده وولاه، فسلك المصريون طريق العودة ومعهم ثلاثون نفرا من المهاجرين والأنصار للنظر فيما يمكن أن يحدث.[6]

---

[1] الذهبي، مصدر سابق، ص 23.

[2] أنظر: ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 50 وما بعدها؛ اليعقوبي، مصدر سابق، ص 202 وما بعدها؛ ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 35 وما بعدها.

[3] انظر رد عثمان بن عفان على التهم الموجهة إليه في: ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 35 وما بعدها؛ ابن كثير، مصدر سابق، ص 219 وما بعدها.

[4] حول حركة عبد الله بن سبأ انظر: حسن حسن إبراهيم، مرجع سابق، ص 293-296.

[5] سالم السيد، مرجع سابق، ص 283.

[6] ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 55.

ثم حدث أن عاد هذا الوفد من طريقه حانقا على الخليفة، والسبب أنهم لما كان في عائدا إلى مصر، لاحظوا غلاما أسوداً على بعير يخبطه كما لو كان يريد الفرار، فأمسكوه ووجدوا عنده كتابا صادرا من عثمان إلى عبد الله بن سعد، مكتوبا به: "إذا أتاك محمد بن أي بكر وفلان وفلان فاقتلهم وأبطل كتابهم وقر على عملك حتى يأتيك رأيي".[1] فانزعج الوفد وعاد إلى المدينة، وقرأوا الكتاب في محضر الصحابة، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا وقد حنق على عثمان، ومضى علي إلى عثمان ومعه الكتاب، فأقسم بالله أنه ما كتبه قط ولا علم له به.[2] (فمن كتب الكتاب؟!).

ورغم ذلك حاصر المتمردون بيت عثمان بن عفان مع وفدي العراق، ومنعوا عنه الماء، والصلاة في مسجد الرسول ﷺ. ولما علموا أن مدداً في طريقه من الشام لنجدة الخليفة، وأن حجاج بيت الله الذين قدموا من أطراف الجزيرة يريدون الذهاب إلى المدينة والدفاع عن الخليفة، عزموا على حسم الأمر بقتله، فوجدوا عند الباب مقاومة عنيفة من أبناء الصحابة، فاقتحموا داره من الخلف (من دار أبي حَزْم الأنصاري)، وبعد أن تمكنوا من الدخول إلى البيت، هجموا عليه وهو يقرأ القرآن، ولما أكبَّت عليه زوجته نائلة لتحميه بنفسها ضربوها بالسيف فقطعت أصابعها، وقتلوه بطريقة بشعة، فسال دمه على المصحف ومات شهيدا، ثم نهبوا بيته وبيت المال.[3] ولم يدركوا أنهم أحدثوا جرحا في قلب الإسلام.

وقد ترتب عن هذا الحدث الخطير في تاريخ الإسلام الأولي، عواقب لا تعد ولا تحصى، ومنه بدأ انشقاق وانقسام الأمة واندلاع الحرب الأهلية تمخض عنها عدة أحزاب سياسية تحولت وفقا لتحول تاريخ الإسلام الأولي إلى قناعات دينية.[4]

---

[1] ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 55.

[2] المصدر السابق، ص 59؛ ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 666.

[3] ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 296؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ص 676.

[4] جعيط هشام، مرجع سابق، ص 119.

قُدِّر عدد الذين ثاروا على الخليفة عثمان رضي الله عنه بنحو 2500 رجلا، جاؤوا المدينة من مصر والكوفة والبصرة خاصة. أحصى الباحث خالد كبير علال من هؤلاء 22 ثائرا وصفهم برؤوس الفتنة هم: مالك بن الحارث الأشتر النخعي، ومحمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن أبي حذيفة ،وعمير بن صابئ، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وزيد بن صوحان، وصعصعة بن صوان، وحكيم بن جبلة العبدي، وعبد الرحمن بن عديس ، وكنانة بن بشر، وكميل بن زياد، وكعب بن ذي الحبكة ، وجندب بن زهير، وشبّث بن ربعي، وقتيرة بن فلان السكوني، وعروة بن الجعد، وخالد بن ملجم، والغافقي بن حرب، وعروة بن البياع المصري، وعبد الله بن بديل، وعبد الرحمن بن بديل، وعمرو بن الجمق.[1] ولأن معظم المتمردين لم يكونوا قرشيين، فقد فسر بعض الباحثين أن الثورة كانت تمثل تمرد القبائل العربية البدوية على نفوذ قريش، كما كانت تكره الحكم المركزي، ولم ترض يوما عن سيادة قريش.[2]

الصراع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وقيام الدولة الأموية: وكان لابد للمسلمين من اختيار خلف لعثمان، فأتوا عليا في داره ودعوه ليتلقى بيعتهم، فأبى إلا أن يكون الأمر بعد الشورى، فانصرف القوم، ولكن الظروف خطيرة ومضطربة، ولا يمكن للدولة الإسلامية أن تستمر بدون خليفة يحظى بالقبول من طرف غالبية المسلمين. فلم يلبثوا أن عادوا إليه، لأن اسمه يفرض نفسه، وألحوا حتى أقنعه الأشتر النخعي، فقبل وبايعه ثم بايعه عامة الناس، وبايعه بعض الصحابة بعد تلكأ ومماطلة، ورفض بعضهم مبايعته.[3] وقد وجد علي بن أبي طالب ﷺ، صعوبة في السيطرة على الوضع بعد استشهاد سيدنا عثمان ﷺ. وأول مشكلة واجهته هي قتلة عثمان، حيث انقسم الصحابة إلى ثلاث فئات:[4]

---

1 خالد كبير، رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد عثمان بن عفان–دراسة نقدية تمحيصية وفق منهج علم الجرح والتعديل، دار المحتسب الجزائر، 2008/1429. ص 5.

2 الدوري عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص 61.

3 ابن كثير، مصدر سابق، ص 266.

4 علال خالد كبير، الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى، دار البلاغ، الجزائر، 2003. ص 6.

الأولى: طالبت من الخليفة الجديد بالإسراع في الاقتصاص من هؤلاء القتلة، وعلى رأسها الصحابيان طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام. وطلبا من علي أن يعينهما واليين ليجمعا له الجنود والمحاربون، فلم يستجب لهما، فالتحقا بمكة المكرمة، واستنفرا الناس وجمعوهم للمطالبة بدم الخليفة الشهيد المقتول ظلما وعدوانا.[1]

الثانية: طالبت عليا بالاقتصاص من هؤلاء القتلة، وجعلته شرطا لمبايعته، وهذه الطائفة هم أهل الشام وفي مقدمتها: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والنعمان بن بشير.

الثالثة: وافقت هؤلاء في ضرورة الاقتصاص من قتلة عثمان، لكنها كانت ترى ضرورة تأخيره حتى تتهيأ الظروف لتنفيذه. ويمثل هذه الطائفة علي بن أبي طالب، وابن عباس، وعمار بن ياسر، والحسن والحسين.

وبما أن عليا هو الخليفة، فإنه أصر على موقفه في تأجيل القصاص، وعزم على استخدام القوة تجاه من خالفه ولم يبايعه من الطائفتين السابقتين. وأعلن لجنده أن قراره هذا هو مجرد اجتهاد شخصي ورأي رآه أنه يحقق الطاعة ووحدة الجماعة. ولم يدَّعِ أن معه نصوصا سمعها من رسول الله ﷺ.[2] فهذا التباين في وجهات النظر والإصرار على المواقف هما اللذان جرا الطوائف الثلاث إلى الاقتتال. ومن الباحثين من فسر هذا النزاع على أنه صدام بين ممثلي تيارين، تيار إسلامي يمثله علي بن أبي طالب، يسير على سياسة إسلامية معاكس للتيار القبلي. وتيار قبلي، يمثله معاوية بن أبي سفيان يسير على سياسة قبلية في وسط قبلي.[3] وربما كان هذا التيار الثاني مثقلا بالموروث الجاهلي، من أعراف اجتماعية وتاريخية كان لها تأثير في إشعال الفتن السياسية بين الصحابة رضي الله عنهم.[4]

---

[1] الدوري عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص 69.

[2] خالد علال كبير، المرجع السابق، ص 7.

[3] الدوري عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص 68.

[4] الشنقيطي محمد بن المختار، مرجع سابق، ص 103-110.

خروج طلحة والزبير وعائشة –موقعة الجمل: وقعت هذه المعركة بين الخليفة علي بن أبي طالب من جهة، والصاحبيان طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين من جهة ثانية، في الخريبة بضواحي البصرة، بتاريخ 10 جمادى الثانية 36هـ/04 ديسمبر 656م،[1] وهي أول معركة بين المسلمين. وتفصيل الأمر أن علي بن أبي طالب نصح المطالبين بالاقتصاص لعثمان أن يتريثوا حتى تهدأ النفوس، ويعود الأمن إلى نصابه، ثم يجري الحق مجراه ويتمكن من إنزال الجزاء بقتلة عثمان. غير أن نصائحه لم تجد آذانا صاغية. وكانت عائشة آنذاك في طريق عودتها من مكة إلى المدينة بعد أن أدت الحج والعمرة، فبلغها مقتل الخليفة عثمان بن عفان وأن الناس بايعوا عليا.[2] فساءها قتل عثمان. ثم التحق طلحة والزبير بمكة، وراحوا يحركون الناس، في مكة وفي البصرة،[3] ويدعون لطلب الثأر من قتلة عثمان، ولم يصغوا لنصح الناصحين، وتمكنوا من تعبئة حوالي ثلاثين ألف مقاتل.[4]

وقد اعتبر بعض الصحابة أن بيعتهم لعلي كانت تحت الإكراه، وفي مقدمتهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما، فخرجا إلى مكة والتقيا بعائشة رضي الله عنها التي كانت عائدة من أداء فريضة الحج، ورفضوا البيعة حتى يقتص الخليفة من القتلة. بينما طالب الخليفة علي بن أبي طالب المعارضين ببيعته قبل ذلك والانتظار حتى تهدأ الفتنة، إذ لم يكن قادراً على تنفيذ القصاص لعدم علمه بأعيانهم، ولاختلاط الثوار والسبئية بجيشه، مع كثرتهم واستعدادهم للقتال، وتركهم المدينة إلى الأمصار عقب البيعة لعلي.[5]

وكان علي بن أبي طالب في طريقه إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان قبل أن يستفحل أمره، فوصله الخبر أن طلحة والزبير نكثا بيعتهما له وانضمت إليهما عائشة، وأنهم خرجوا في جموع

---

[1] هذا التاريخ الراجح، ويوجد اختلاف بين المحققين حول تاريخ اندلاع المعركة.

[2] ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج 3، ص 6.

[3] ابن كثير، مصدر سابق، ص 269.

[4] ابن الأثير، مصدر سابق، ص 123.

5 الطبري، مصدر سابق، ج 4، ص 436، 444.

كثيفة نحو البصرة، فاضطر علي إلى تغيير وجهته إلى الكوفة لدعوة أهلها إلى نصرته،[1] وبلغ عدد من التحق به من المهاجرين والأنصار وأهل الكوفة ... حوالي عشرون ألفا. ومن الكوفة سار علي بجيشه إلى البصرة حيث التقى الجيشان في مكان يقال له الخريبة.

والحقيقة أن عليا عزَّ عليه أن يقاتل المسلمون بعضهم بعضا، فأقام ثلاثة أيام ورسله تتردد على أهل البصرة يدعوهم للرجوع إلى الطاعة والدخول في الجماعة، ثم تحدث مع طلحة ومع الزبير، وذكرهما أنهم أخوة في الإسلام يحرمان دمه ويحرم دمهما ... ولما فشلت كل السبل لتجنب الحرب، وقع الاشتباك، وكانت المعركة عنيفة في بدايتها، ولكنها انتهت سريعا في يوم واحد بهزيمة الحلفاء الثلاثة،[2] وبلغ عدد القتلى نحو عشرة آلاف، من بينهم طلحة والزبير، وأما الجرحى فلا يحصون كثرة ولم يكن في الفريقين من الصحابة إلا قليل.[3] أما عن أم المؤمنين عائشة فقد أنزلها علي بن أبي طالب دارا في البصرة، ثم ردَّها إلى المدينة معززة مكرمة.[4] ويبدو من خلال بعض النصوص أنها ندمت ندامة كلية، وتابت من ذلك، على أنها ما خرجت إلا متأولة قاصدة للخير.[5]

معركة صفين سنة 37 هـ: أخذ الخليفة علي بن أبي طالب البيعة من أهالي الأمصار وعزل الولاة، منهم معاوية بن أبي سفيان والي الشام منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وعيَّن ولاةً جدد.[6] ولكن معاوية بن أبي سفيان تمكن من تأليب الناس في الشام وتحريضهم للمطالبة بدم عثمان، كما امتنع عن مبايعة علي بن أبي طالب، وطلب منهم أن يبايعوه أميرا للمؤمنين، أو خليفة، فأجابه الكثير. ثم أرسل إلى علي يخبره أن أهل الشام قد بايعوه خليفة وهم لا يجيبون عليا إلى البيعة.[7] ويرى

---

[1] ابن كثير، مصدر سابق، ص 272.

[2] سالم السيد، مرجع سابق، ص 305.

[3] ابن كثير، مصدر سابق، ص 282.

4 الطبري، مصدر سابق، ج 4 ص506 فما بعدها.

[5] الشنقيطي، مرجع سابق، ص 165.

6 الطبري، مصدر سابق، ج 4 ص543 فما بعدها.

[7] ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 100، 123.

بعض الباحثين أن معاوية بن أبي سفيان كان طموحاً في الملك، ولم يكن خروجه على علي بن أبي طالب لمجرد الثأر لعثمان بن عفان، بل كان يريد الإمساك بزمام أمر المسلمين.[1]

كانت قوات جيش علي من أهل العراق 135 ألف مقاتل منهم 100 من الصحابة البدريين كعمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت، وعبد الله بن عباس وغيرهم. بينما جهّز معاوية جيشاً عدده 130 ألف مقاتل من الشاميين. وكان جيش علي في طريقه من العراق إلى الشام، فتوقف في صِفِّين (قرب الرقة على شاطئ الفرات في سوريا)، فعزم معاوية على السير إلى صفين، والتقى الجيشان هناك في شهر محرم، وبقيا مدة أسبوعين دون قتال. وتحرك الرسل بينهما طمعا في الصلح، ولما طالت المدة ظن الناس أن الصلح وشيك.[2] ولما انتهى شهر محرم استعد الفريقان للقتال، وتم الاشتباك في أول صفر، ودامت المعركة عشرة أيام، وفي اليوم العاشر رجحت كفة علي وأوشكت قواته على سحق قوات معاوية، "فانقضت غالب صفوف أهل الشام ولم يبق إلا الهزيمة والكسر والفرار".[3] وسارت المعركة في صالح الخليفة علي بن أبي طالب، فنصح عمرو بن العاص معاوية بن أبي سفيان برفع المصاحف على أسنّة الرماح، يعني بذلك أنّ كتاب الله حكماً بين معاوية وعلي.[4]

واشتد النقاش في معسكر علي بن أبي طالب بين آخذ بالتحكيم ومعارض له.[5] وكان علي بن ابي طالب من المعارضين للتحكيم؛ لأنه تفطن للحيلة، فنبه أصحابه وحذرهم أنها الخديعة والوهن والمكيدة، وقال لهم: "أن معاوية وعمرو ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم" وقد رفعوا المصاحف خديعة ودهاء ومكرا، وحثهم على مواصلة القتال. واختلف النَّاس في معسكره، فقالت جماعة: "قد أكلتنا هذه الحروب وقلت الرجال"، وقال قوم: "نقاتل اليوم على ما قاتلنا أمس وإن لم يبق منا إلا القليل"، وقال آخرون: "يا أهل العراق إنكم تعلمون أننا كنا دعونا أهل الشام

---

[1] الشنقيطي، مرجع سابق، ص 197.

[2] ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 79.

[3] ابن كثير، مصدر سابق، ص 302.

[4] اليعقوبي، مصدر سابق، ص 219.

[5] اليعقوبي، مصدر سابق، ص 220.

إلى كتاب الله عزّ وجلّ، فإن رددناه عليهم حلّ لهم منا ما حلّ لنا منهم، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله، وأن عليا رضي الله عنه ليس بالراجع ولا بالناكص ولا الشاك الواقف في أمره، وهو اليوم على ما كان عليه أمس، وقد أكلتنا هذه الحروب، ولسنا نرى إلا البقاء في الموادعة والسلام". وتعاقبت التدخلات في جيش علي.[1] ووصل الأمر بنفر من رجاله، أن هددوه إما أن يجيب إلى كتاب الله إذا دُعِي إليه أو يفعلوا به كما فعلوا بابن عفان، فكان أمير المؤمنين علي في هذا الموقف الحرج أمام خيارين: إما المضي بالقتال، ومعنى ذلك أنّه سيقاتل جزءاً من جيشه وجيش أهل الشام، أو القبول بالتحكيم. وعز على علي أن يخيره أتباعه بين الأمرين، فتركهم أحرارا في اختيار أحد أمرين: إما طاعة ومواصلة القتال، وإما عصيان فيفعلوا كما شاء لهم أن يفعلوا، فاختاروا التحكيم.[2] واضطر علي إلى القُبول به.[3] ثم وقع اختيارهم على أبي موسى الأشعري، وعين معاوية بن أبي سفيان من جهته عمرو بن العاص ممثلا لأهل الشام في التحكيم.[4]

وترتب عن قبول التحكيم أن تضعضعت قوات العراق التي كانت مع علي بن أبي طالب، حيث خرج جماعة منهم ورفضوا التحكيم، قائلين: "لا حكم إلا لله، لا حكم إلا لله"، فقال لهم علي: "كلمة حق أريد بها باطل". ثم انشقوا على علي واستقروا في حروراء (قرب الكوفة)، وهم الذين عرفوا فيما بعد بالخوارج. وانشغل علي بمحاربتهم، فاشتبك معهم في النهروان (قرب بغداد) سنة 38 هـ، وقتل الكثير من زعمائهم.[5] ولما اجتمع الحكمين خُدِع أبا موسى الأشعري من طرف عمرو بن العاص؛ لأن أحدهما يبتغي الدنيا، والآخر يبتغي الآخرة، حسب ما ورد عند بعض الباحثين.[6]

---

1 ابن أعثم الكوفي (أحمد بن محمد بن علي، أبو محمد (ت نحو314هـ/926م))، الفتوح، دار الأضواء، بيروت، 1411هـ /1991 م. ج 3، ص 182، 183.

2 ابن كثير، مصدر سابق، ص 303.

3 الطبري، المصدر السابق، ج 4 ص563 فما بعدها.

4 ابن الأثير، مصدر سابق، ص161-162.

5 المصدر السابق، ص165-166.

6 الشنقيطي، مرجع سابق، ص 200.

ثم اتفق ثلاثة من الخوارج بعد وقعة النهروان بأشهر على قتل علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، في ليلة واحدة، ففشل اثنان ونجح واحد هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي، حيث ترصد عليا وهو ذاهب إلى المسجد ليؤدي صلاة الفجر، فضربه بخنجر مسموم، مما أدى إلى وفاته في السابع عشر من شهر رمضان سنة 40 هـ.[1]

ثم بايع الناس ابنه الحسن واشترط عليهم أن يبايعوه على مسالمة من يسالم ومحاربة من يحارب[2] وفي نيته إقامة الصلح. ثم التقى بمعاوية وتنازل له عن الخلافة سنة 41 هـ.[3] وكانت مدة حكمه ستة أشهر، وسمي هذا العام بعام الجماعة. وبذلك انتهى الصراع لصالح الأمويين وبدأ عهد جديد من عهود الحكم في الدولة الإسلامية.

معركة النهروان سنة 39هـ/659م 40هـ/660م: كانت هذه المعركة بين ما تبقى من جيش علي بن أبي طالب والخارجين عليه من المحَكِّمة، وهو موقع بين بغداد وحلوان. وانتهت المعركة بانتصار جيش علي.[4]

استشهاد علي بن أبي طالب: بينما كان علي بن أبي طالب يؤم المسلمين في صلاة الفجر في مسجد الكوفة، ضربه عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم على رأسه، وتقول بعض الروايات أن علي بن أبي طالب كان في الطريق إلى المسجد حين ضربه ابن ملجم، ثم حمل على الأكتاف إلى بيته. وعبد الرحمن بن ملجم أحد الخوارج، كان قد نقع سيفه بسم زعاف لتلك المهمة. ويُروى أنه اتفق مع اثنين من الخوارج على قتل كل من معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب يوم 17رمضان، فنجح بن ملجم في قتل علي وفشل الآخران.

---

[1] ابن الأثير، مصدر سابق، ص 194.

[2] سالم السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص 321.

[3] اليعقوبي، مصدر سابق، ص 255-256؛ ابن كثير، مصدر سابق، ص 61-65.

4 الطبري، مصدر سابق، ج 5 ص 72 فما بعدها.

عاش بعدها يومين، وتوفي في 21 رمضان بالكوفة.[1] وتعهد مسلمو الكوفة بعده بالولاء لابنه الأكبر الحسن.[2] وفي ربيع الآخر أو فِي جمادى الأولى سنة 41هـ/662م اجْتمع الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان بمسكنٍ من أرض السواد من نَاحيَة الأنبار، فاصطلحا على أن يبايع الحسن مُعاوية بالخلافة، فسمي ذلك العام بعام الجماعة. كانت ولاية الْحسن بن علِيّ سبعة أشهر وَسبعة أَيَّام. وانصرف بعد الصلح إلى المدينة أين توفي رضي الله عنه.[3]

واختلف المسلمون عبر التاريخ الإسلامي في مكانة علي بن أبي طالب، وتباينت اعتقادات الطوائف الإسلامية، فالسنّة يعدونه أحد العشرة المبشرين بالجنة والخليفة الراشد الرابع للمسلمين ومن آل بيت الرسول. وبعض الفرق يعتقدون بألوهيته والاعتقاد بعصمته. والشيعة يعتقدون بأنه أول إمام وبعصمته. ولكن غالبية المسلمين أجمعوا على فضله ومكانته.

10- آثار الفتنة الكبرى

كانت للفتنة الكبرى أثر كبير، على المسار التاريخ الإسلامي:

وترتب عن الفتنة الكبرى، نتائج عديدة مازالت آثارها ممتدة إلى وقتنا المعاصر، ومنها:

1. انقسام المسلمين إلى أحزاب وهي:

- الهاشمية: وهم أنصار علي بن أبي طالب والحسن والحسين، ويعرفون في التاريخ باسم الشيعة. وفيهم الغلاة الذين عرفوا بالسبئية، وهذه الفرقة قدمت أهل البيت على جميع الناس، وغالت في حبهم وتقديسهم ورأت أن لا اجتهاد في ولاية الإمام. وتحوَّلت النصرة لعلي رضي الله عنه مع مرور الوقت من موقف سياسي وقفه بعض الصحابة، إلى مذهب قائم بذاته، على قواعد عَقَدِيِة

1 الطبري، مصدر سابق، ج 5، ص 143 فما بعدها.

2 نفس المصدر، ج 5، ص158.

3 ابن خياط بن خليفة (أبو عمرو خليفة الشيباني العصفري البصري (ت 240هـ/395م))، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط2، دار القلم، مؤسسة الرسالة دمشق، بيروت. 1397هـ/1976م. ص 203.

تجعل الإمامة عوض الخلافة لعلي رضي الله عنه، وذريته من بعده ولايةً واجبةً بالنص الذي لا اجتهاد فيه للأمة.

- الخوارج: وهم الذين رفضوا التحكيم وخلافة علي ومعاوية، وطالبوا بالإصلاح ودعوا إلى ردع الحاكم الجائر والخروج عليه.
- العثمانية: وهم بنو أمية الذين أسسوا الدولة الأموية.
- المرجئة: وهم الذين قالوا يترك الحكم لله يوم الحساب، وعدم إدانة أي مسلم، وهم أساس فرقة المعتزلة التي ستظهر في أواخر عصر الدولة الأموية.

2. انشغال المسلمين لأول مرة عن الفتوحات بقتال بعضهم البعض.
3. كان من آثار الفتنة مقتلُ عددٍ مهول من الصحابة على رأسهم الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.
4. انتهى مع توقف الفتنة، عصر الخلافة الراشدة القائمة على مبدأ انتقال السلطة عن طريق الشورى بين المسلمين وأهل الحل والعقد ومبدأ المبايعة أو العقد بين الحاكم والمحكوم.
5. خرج ميزان القوة السياسية من الحجاز إلى العراق والشام، فاتخذ الخليفة علي بن أبي طالب من الكوفة مقرا لحكمه، واستقر معاوية بن أبي سفيان في دمشق التي ستصير عاصمة للدولة منذ سنة 41هـ/661م.
6. أحدثت الفتنة هزات عنيفة في التاريخ الإسلامي، مازالت بعض ارتداداتها مستمرة إلى وقتنا الحالي.

وفي نهاية هذا الفصل، يمكن القول أن الفتنة الكبرى وما تبعها من ارتدادات، كان لها أبلغ الأثر على المسلمين. وظهر في نفس الوقت أن الصحابة بطبيعتهم البشرية حاولوا إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل التي قد تطرأ على أي مجتمع بشري. كما اتضح أن الفتنة لم تؤثر على استمرارية الدولة الإسلامية، ففي سنة 41هـ/661م، اجتمع المسلمون تحت حكم الدولة الأموية من جديد.

الفصل الرابع

العهد الأموي (41–132هـ/662–750م)

يتناول هذا الفصل التطورات التي شهدتها الدولة الأموية منذ نشأتها سنة 41هـ/662م إلى سقوطها سنة 132هـ/750م في الميدان والداخلي. وقد بلغت الدولة الأموية رقعة واسعة بفضل الفتوحات التي خاضتها مشرقا ومغربا، وضمت في بنيتها الاجتماعية عناصر وشعوباً وقوميات متنوعة ومتباينة، كما شهدت عبر تاريخها الذي بلغ حوالي تسعين سنة، أحداثا وتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية، طبعت مسيرتها ونهجها، وميزتها عن الدول الإسلامية التي نشأت بعدها.

ونظرا للموقف المعارض الذي اتخذه الأمويون من الدعوة الإسلامية لما ظهرت في سنواتها الأولى في مكة وسط قبيلة قريش، ونظرا للموقف الذي تبناه معاوية بن أبي سفيان –مؤسسها الأول– من علي بن أبي طالب، أيام الفتنة الكبرى التي عصفت بالمسلمين، ثم ارتكاب بعض حكامها لأخطاء جسيمة، مثل مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب في كربلاء، ومهاجمة المدينة المنورة، وضرب مكة المكرمة بالمنجنيق. كل هذه الأحداث وغيرها جعلت كثيراً من الدارسين والمؤرخين يقفون موقفا سلبيا من هذه الدولة، فأهملوا تاريخها، وكتبوه بألوان قاتمة.

وقد واجهت الدولة الأموية عبر تاريخها ثلاثة أحزاب كانت من أشد المعارضين لها، هم:

حزب الشيعة، الذي كان من أشد المناوئين لها بسبب النزاع حول الخلافة، واختلاف مفهومهما ونظرتهما لها.

حزب الخوارج، الذي رفع لواء التمرد وعدم الاعتراف بالخلافة الأموية، ودخل في صراع ضدها ما أدى إلى اندلاع عدة ثورات.

حزب الموالي، الذي تكون من العناصر غير العربية التي اعتنقت الإسلام وكان كثير منها معرضا للسلطة الأموية؛ لأنها نظرت إليهم نظرة دونية، ولم تراع مبدأ المساواة في تولية المناصب وفي العطاء، وفي المعاملة بينهم وبين العرب.

ومهما قيل أو كتب عن تاريخ الدولة الأموية من انتقادات أو افتراءات، فإن هذه المحاضرات المحدودة، لا تستطيع أن تميط اللثام عن كثير من الحقائق التاريخية، ولا تستطيع أن تزيل الألوان القاتمة التي كتب بها تاريخ هذه الدولة، فهذا يحتاج إلى دراسات موسعة ومؤلفات متخصصة، تبحث عن الحقيقة، وتدرس تاريخ الخلافة الأموية بموضوعية، لعلها تعطيه حقه من الإنصاف، وتزيل عنه خيوط العنكبوت التي سدت حوله. أما هذه المطبوعة الموجهة لطلبة السنة الثانية تاريخ، فستحاول تسليط الضوء على بعض الأحداث البارزة في تاريخ هذه الدولة.

1- التعريف بمعاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية

يرجع الأمويون في نسبهم إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.[1] فيلتقي بنو أمية وبنو هاشم عند جدهم ابن عبد مناف. وقد كان لبني أمية دورٌ هام في الجاهلية، فكانت لهم قيادة الحرب في قريش بعد ابن عبد شمس. ومؤسس الدولة هو معاوية، والده أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

ولد معاوية بن أبي سفيان، قبل البعثة بخمسة أعوام، وأسلَم مع أبيه يوم فتح مكة، ثم أصبح من كتاب الوحي، ومن رواة الحديث عن ابي بكر وعمر وعثمان، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين. شارك في معركة اليمامة ضد المرتدين، كما أبلى بلاء حسنا في فتح المدن الشامية الساحلية.

[1] السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي)، الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، 1988. ج 1، ص 209.

نال ثقة الخليفة عمر بن الخطاب، فولاه الأردن ثم أضاف له ولاية الشام، وبقي فيها حتى مقتل الخليفة عثمان بن عفان سنة 35 هـ.[1]

بعد مبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة، امتنع معاوية عن مبايعته، متهما إياه بإيواء قتلة عثمان في جيشه، ودخل في نزاع مسلح ضده، ثم أعلن استقلاله بولاية الشام، واتخذ من مدينة دمشق عاصمة لدولته سنة 41هـ/662م. واستمر هذا الصراع بينهما حتى قُتِل علي سنة 40 هـ. بل استمر في عهد الحسن بن علي حتى تنازل له الحسن عن الخلافة سنة 41 هـ.[2]

ويمكن تلخيص الظروف والعوامل التي ساعدت على قيام الدولة الأموية فيما يلي:

1- مقتل علي بن أبي طالب على يد عبد الرحمن بن ملجم وهو من الخوارج، وإن كانت هذه العملية قد فتحت الباب أمام معاوية بن أبي سفيان، فإن ذلك الباب لم يفتح على مصراعيه؛ لأن الناس بايعوا الحسن بن علي.[3] أما معاوية فقد بويع بالخلافة في بيت المقدس من قِبل أهل الشام، ودُعِي بأمير المؤمنين،[4] وإن كان عمرو بن العاص قد ثبته خليفة يوم اجتماع الحكمين.[5]

2- تنازل الحسن بن علي عن الخلافة واعتزاله السلطة، إشفاقا على المسلمين وحقنا لدمائهم. فبعد مقتل علي خرج معاوية بجيشه لغزو العراق، وخرج الحسن بن علي من الكوفة بجيشه لمواجهة معاوية، ولكنه رأى من أتباعه زهدا وانصرافا عن الحرب، وآخرون أخذوا برأي الخوارج، ثم تعرض للنهب، وطعن في فخذه،[6] فأعلن أنه لا يريد حمل الناس على ما يكرهون. ثم جرت بينه وبين معاوية مفاوضات انتهت بخلع الحسن لنفسه من الخلافة، وسلم معاوية أمر المسلمين. وخطب في

---

[1] السيوطي، مصدر سابق، ص 156.

2 المصدر السابق، ص 148 فما بعدها؛ محمد أسعد طلس: تاريخ العرب، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1399هـ/1979م. ج4 ص 9.

[3] طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة الأموية، ط 7، دار النفائس، بيروت، 2010.

[4] ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 166.

[5] ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 157.

[6] اليعقوبي، مصدر سابق، ص 255.

الناس قائلا: "إن الله هدى أولكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وكانت لي في رقابكم بيعة، تحاربون من حاربت، وتسالمون من سالمت، وقد سالمت معاوية، وبايعته فبايعوه".[1] وقد انطوت هذه الحادثة على مرحلة هامة من مراحل التاريخ الإسلامي، حيث طوت العصر الراشدي وافتتحت العصر الأموي، وحولت الأسرة الهاشمية إلى المعارضة ضد السلطة الأموية.

3- دخول معاوية بن أبي سفيان مدينة الكوفة على إثر الصلح الذي تم بينه وبين الحسن، فبايعه الحسن وأخاه الحسين وسمي ذلك العام (سنة 41هـ) بعام الجماعة. واجمع الناس على معاوية بن أبي سفيان وبايعوه، باستثناء الخوارج الذين امتنعوا عن مبايعته وحاولوا قتله.[2]

وبذلك قامت الدولة الأموية، وأضحى معاوية بن أبي سفيان خليفة واتخذ من دمشق عاصمة لدولته بدلا من المدينة المنورة، وقد دام حكم هذه الدولة 91 عاما هجريا/89 عاما ميلاديا (من 41 إلى 132هـ/من 661 إلى 750م).

ينقسم تاريخ الدولة الأموية إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة حكم البيت السفياني (41-64هـ /662-683م): برز في هذه المرحلة معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة. حكم نحو 19 سنة (41-60هـ/661-680م)، ثم ابنه يزيد بن معاوية (60-64هـ/680-683م)، ثم معاوية بن يزيد سنة 64هـ/683م، كانت خلافته ثلاثة أشهر بقولٍ وأربعين يوماً بقولٍ آخر، ثم أعلن تنازله عن الخلافة. فدخل الأمويون في صراعات داخلية حتى انعقد مؤتمر الجابية سنة 64هـ/683م.

في عهد معاوية بن أبي سفيان واصل الخوارج ثوراتهم ضد الأمويين، فواجههم الخليفة واستطاع قمع الكثير من ثوراتهم. وفي سنة 50هـ/670م عقد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ولاية العهد لابنه يزيد. غير أن صغار الصحابة رفضوا هذه الولاية منهم عبد الله بن الزبير والعلويون، وعلى رأسهم

[1] اليعقوبي، مصدر سابق، ص 256؛ ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 185.

[2] طقوش، مرجع سابق، ص 15.

الحسين بن علي. واستمر المعارضون يرفضون البيعة ليزيد لما تولى الخلافة سنة 60هـ/679م. عند ذلك اتفق أهل الكوفة على مبايعة الحسين بن علي بالخلافة ومراسلته للقدوم إليهم.

خرج الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة رغم تحذيرات الصحابة منهم عبد الله بن عباس، وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليستطلع الوضع هناك ويحَضر عملية دخوله إلى الكوفة. غير أن يزيد عَلِم بذلك فعزل واليه على الكوفة النعمان بن بشير، وعين مكانه عبيد الله بن زياد بن معاوية، الذي باشر عمله بالتَخَلُص من مسلم بن عقيل، ورؤوس العلويين في الكوفة وشيعتهم. ورغم وصول هذه الأخبار إلى الحسين فإنه واصل مسيره مع سبعين رجلا من العلويين حتى وصلوا كربلاء، وهناك اصطدموا بجيش الأمويين يقوده عمر بن سعد بن أبي وقاص، فحدثت مأساة كربلاء بمقتل الحسين وأصحابه في10 محرم سنة 61 هـ /680 م). قتله شمر بن ذي الجوشن الكلبي. وكانت هذه المأساة رجة أخرى كبيرة في تاريخ المسلمين بقيت آثارها متتابعة حتى وقتنا الحاضر.[1]

من ارتداداتها المباشرة قيام ثورة المختار بن أبي عبيد (ت 67هـ/ 686م) الذي طالب بدم الحسين بن علي، وقتل من كان سببا في مقتله، منهم عبيد الله بن زياد، وشمر بن ذي الجوشن، وعمر بن سعد بن أبي وقاص. ولكنه قُتل في الكوفة عام 67هـ/686م في معركة مع مصعب بن الزبير والي الكوفة من قبل أخيه عبد الله بن الزبير.[2]

المرحلة الثانية: مرحلة حكم البيت المرواني (64–132هـ/630–750م): تبدأ هذه المرحلة بانعقاد مؤتمر الجابية سنة 64هـ/ 683م بين أبناء البيت الأموي. ومن أهم القرارات التي خرج بها المؤتمرون، عدم مبايعة ابن الزبير، واستبعاد خالد بن يزيد من الخلافة لصغر سنه، ومبايعة مروان بن

1 الطبري، مصدر سابق، ج5 ص 382، 400 فما بعدها.

2 نفس المصدر، ج6 ص 93.

الحكم، ومن بعد مروان، على أن تكون البيعة من بعده لخالد بن يزيد، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص. نص المؤتمر أيضا على الاستعداد لمجابهة المخالفين أتباع ابن الزبير في الشام.[1]

2- أهم التطورات السياسية في العهد المرواني (64 –132هـ/684–749م)

تعتبر ثورة عبد الله بن الزبير (64هـ-683/73-692 م) من أهم الحركات السياسية التي هددت عرش الدولة الأموية. فقد كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أول مولود للمسلمين في المدينة المنورة. أمه أسماء بنت أبي بكر كان ابن الزبير من الرافضين البيعة ليزيد بن معاوية. وعند وفاة يزيد ودخول الأمويين فترة الصراع أعلن ابن الزبير نفسه خليفة للمسلمين، واتخذ من مكة حاضرةً لحكمه، وبايعته الولايات كلها، إلا بعض المناطق في الشام التي دعمت الأمويين وساعدتهم على استعادة السلطة.

لم يصمد حكم عبد الله بن الزبير إلا نحو10سنوات لأسباب متعددة، أهمها هزيمة حلفائه القَيْسِيينَ في مرج رهط، واجتماع الأمويين حول مروان الحكم ثم ابنه عبد الملك في الشام، وتجربة الأمويين في كسب الأنصار وإغداق الأموال عليهم. كما أن بقاءه في مكة وعدم استجابته لإلحاح الشاميين على القدوم إليهم، وسياسة التقشف التي اعتمدها جعلت الولاء يتجه إلى الأمويين. ومن العوامل التي كانت سببا في ضعف حكمه، خروج المختار بن عبيد الثقفي عن طاعته في العراق. وانتهت خلافة عبد الله بن الزبير بمقتله في حصار الحجاج بن يوسف الثقفي لمكة سنة 73هـ/692م، في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان.[2]

استطاع مروان بن الحكم (64-65هـ/684-685م) بسط سلطته في الشام خاصة بعد انتصاره على القيسيين في مرج رهط، كما بدأ شيئا فشيئا يستعيد الولايات التي بايعت عبد الله بن الزبير. ثم تابع الخليفة عبد الملك بن مروان (65 -86 هـ / 685-705م) سياسته في بسط

1 الطبري، مصدر سابق، ج5، ص 530 فما بعدها.

2 نفس المصدر، ج5 ص 497، ج6 ص 187 فما بعدها.

سلطان الدولة الأموية على الولايات، وتشديد الخناق على عبد الله بن الزبير. وفي الأخير قضى الحجاج بن يوسف الثقفي على دولة عبد الله بن الزبير بمكة بعد ضربها بالمنجنيق عام 73هـ/733م، فتوحد حكم المسلمين من جديد وعرفت سنة 73هـ بعام الجماعة الثاني.[1] وكلف المهلب بن أبي صفرة الأزدي ثم الحجاج بن يوسف بقتال الخوارج واستمرت ثوراتهم حتى نحو سنة 76هـ/736م، حيث تراجع عنفهم ضد الدولة كما قضى الحجاج على ثورة عبد الرحمن بن الأشعث.[2]

خلفه من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك (86-96 هـ /705-715م) ثم سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/715 -718م)، ثم آل أمر الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز (99-101 هـ/718-720 م). وتوجَّه الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى إصلاح أمور المسلمين والسعي لإيجاد الحلول لمشاكل الانقسامات الداخلية مع العلويين والخوارج. كما كان زاهدا في الإنفاق على نفسه وأهله، متقشفا في النفقات مع الأمويين فأخذ جزءا مما كان بين أيديهم من أموال، وضمه إلى خزينة الدولة. عُرِفَ عهده بالأمن والرخاء وتوفيَّ سنة (101هـ/720م)، بعدَ أن دامت خلافته سنتين ونصف تقريباً.[3]

بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز عاد الحكام المروانيون المتأخرون إلى سلف سياستهم، فتولى الخلافة يزيد بن عبد الملك (101-105هـ /720-724م)، فبدأ حكمه بعزل ولاة سلفه عمر بن عبد العزيز،[4] ثم هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م)، ثم الوليد بن يزيد (125-126هـ/724-744م)، ثم يزيد بن الوليد سنة 126هـ/744م ثم إبراهيم بن الوليد 126هـ/744م، وكان ضعيفا فمكث سبعين يوما، حتى قدم عليه سنة 744/126م مروان بن محمد بن مروان والي أذربيجان فدعا لنفسه بالخلافة.[5]

---

1 الطبري، مصدر سابق، ج6 ص 187 فما بعدها.

2 نفس المصدر، ج6 ص 197 فما بعدها.

3 ابن سعد، المرجع السابق، ج4 ص 253 فما بعدها.

4 عبد الله فياض، محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، مطبعة الارشاد، بغداد، 1967. ص 106.

5 الطبري، المصدر السابق، ج7 ص 299.

حاول مروان بن محمد استرجاع هيبة الدولة واستقرارها، بعد أن سادها الضعف والصراعات بين أفراد البيت الأموي، غير أن الظروف كان تسير في اتجاه معاكس لطموحه، خاصة أن الدعوة العباسية كانت قد تجذرت في خراسان مؤذنة بسقوط الخلافة الأموية سنة 132هـ/750م بعد الهزيمة أما العباسيين في معركة الزاب.[1]

3- أسباب سقوط الخلافة الأموية

تتلخص أسباب سقوط الدولة الأموية في العناصر الآتية:

1. الصراع على السلطة منذ وفاة الخليفة يزيد بن معاوية وتنازل معاوية بن يزيد. وتمكن الأمويون من فك عقدة الحكم فجعلوا الخلافة في مروان بن الحكم، ثم لخالد بن يزيد، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص. غير أن مروان بن الحكم خالف قرارات هذا المؤتمر فجعل الخلافة من بعده لابنه عبد الملك بن مروان، ثم عبد العزيز. ثم قام عبد الملك بن مروان بنفس العمل فولى ابنه الوليد ثم من بعده سليمان. وحاول الوليد بن عبد الملك عزل أخيه وتولية ابنه عبد العزيز. أما سليمان بن عبد الملك فجعل ولاية العهد لعمر بن عبد العزيز، ثم ليزيد بن عبد الملك. ونهج يزيد نفس المنهج فولى العهد أخاه هشام ثم ابنه الوليد، غير أن هشام لما تولى الخلافة حاول عزل الوليد بن يزيد وهكذا استمر الصراع على السلطة مما ساهم في ضعف عصبية الأمويين وسلطانهم على العرب.[2]

2. اتجه الخلفاء الأمويون المتأخرون إلى حياة الترف والبذخ فابتعدوا عن صورة الخلفاء المؤسسين مثل معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان في الجِدِّ، والصرامة، والمحافظة على التقاليد العربية. فمن أخبار حُكمِ الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125-126هـ/743-744م) انتهاكه المحرمات وفجوره، فنقم عليه النَّاس وحاصروه في قصره ثم قتلوه.[3]

---

[1] الطبري، مصدر سابق، ج7 ص 432،433، 434.

2 محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ط6، دار النفائس، بيروت، 2010. ص 190؛ حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 270.

3 أسعد طلس، المرجع السابق، ج 4 ص 161.

3. تميز الأمويون بنزعة عصبية كان فيها بعض الإجحاف والظلم، تجاه العناصر الأعجمية، حيث اعتبروهم عناصر من درجة أقل، وعاملوهم معاملة الموالي، وكان الإجحاف في نظر هذه العناصر من العجم، يتمثل في إبعادهم عن المناصب الكبرى في الدولة وإثقال كاهلهم بالضرائب.

كان الخليفة عمر بن عبد العزيز حالة استثنائية في العدالة بين أفراد الرعية. فمن عدله إسقاط الجزية عن المسلمين العجم في المشرق والمغرب، والسماح لهم بملكية الأرض. غير أن هذه السياسة لم تستمر من بعده. لقد أذكى ذلك في نفوس من كانوا يُعرَفون بالموالي خاصة حقدا على الدولة غذته نزعة عقَدية وقومية جعلتهم يعادون الأمويين ويلتفون حول العباسيين. استغل الدعاة العباسيون هذا العداء ونزعتهم الشعوبية فاتخذوهم القوة الضاربة لإسقاط حكم خصومهم الأمويين.[1]

4. كانت الصراعات القبلية خاصة بين القيسية والكلبية اليمنية وانقلاب الأمويين بين العصبيتين، فبينما تحالف مروان بن الحكم مع اليمنية في مرج رهط نجد الخليفة الوليد بن يزيد بعد ذلك يَلْزَمْ جانب القيسيين لأن والدته كانت منهم. لقد ساهم ذلك في ضعف رابطة العصبية العربية وسهل العمل للعباسيين لكسب مزيد من المؤيدين لدعوتهم.[2]

نستنتج في الأخير أن الدولة الأموية هي ثاني خلافة في التاريخ الإسلامي، وأول دولة قام نظام الحكم فيها على أساس وراثي. ظهر أن هذه الدولة نشأت في ظروف خاصة أفرزتها أحداث الفتنة الكبرى منذ مقتل الخليفة عثمان بن عفان، كما صحبت مسيرتها أحداث كبرى مأساوية كان لها الأثر السلبي على التاريخ الإسلامي. تبيَّن من خلال هذا الفصل أن الدولة الأموية رغم الصعاب الداخلية فقد حققت إنجازات كبرى أهمها مواصلة نشاط الفتوحات في الشرق والغرب، فكانت بذلك أكبر دولة من حيث المساحة في التاريخ الإسلامي.

---

1 طقوش، مرجع سابق، ص 196 فما بعدها؛ حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ج 1، ص275؛ عيسى رياض، الحزبية السياسية منذ قيام الاسلام حتى سقوط الدولة الأموية، دمشق، 1413هـ/1992م. ص 221.

2 طقوش، مرجع سابق، ص 193، 194؛ علي إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 324.

قائمة الخلفاء الأمويين

1- معاوية بن أبي سفيان 41هـ/661

2- يزيد بن معاوية 60هـ/680

3- معاوية بن يزيد..... 64 هـ/683م

4- مروان بن الحكم 64هـ/683م

5- عبد الملك بن مرواان..... 65هـ/685م

6- الوليد بن عبد الملك.....86هـ/705م

7- سليمان بن عبد الملك.....96هـ/715م

8- عمر بن عبد العزيز.....99هـ/717م

9- يزيد الثاني 101هـ/720م

10- هشام.....105هـ/724م

11- الوليد الثاني.....125هـ/743م

12- يزيد الثالث.....126هـ/744م

13- إبراهيم.....126هـ/744م

14- مروان الثاني بن محمد.....127-132هـ/745-750م

خريطة الدولة الأموية[1]

[1] أبو خليل شوقي، مرجع سابق، ص 47.

4- الفتوحات الإسلامية في عهد الخلافة الأموية

كانت حركة الفتوحات الإسلامية قد توقّفت تماما منذ اشتعال فتنة مقتل عثمان سنة 35هـ، وظلّت متوقفة طوال عهد علي بن أبي طالب؛ حيث كانت الدولة منشغلة بنزاعاتها الداخلية، ما أدى إلى بروز الفتنة والاضطراب في بلاد المغرب.[1] لكن بعدما استقر الأمر للخليفة معاوية بن أبي سفيان، والاجتماع مجددا على خلافته، عادت الفتوحات من جديد، وقد توزعت على ثلاث جبهات كبرى في وقت واحد.

أول هذه الجبهات بيزنطة باعتبارها مركز القوة الرئيسية في العالم القديم التي كانت تُشَكل تهديدا مباشرا لبلاد الإسلام في المجالين البري والبحري على السواء. والجبهة الثانية هي بلاد المغرب، وهو ميدان بيزنطي أيضا يضاف إليه العامل المحلي المتمثل في سكان البلاد الأصليين الأمازيغ أو البربر، ثم جبهة الأندلس وبلاد الفرنجة. أما الجبهة الثالثة فكان في اتجاه الشرق حيث مواطن الأتراك والهنود وبقايا الفرس.[2]

- **الجبهة البيزنطة**

اعتنى الخليفة معاوية بن أبي سفيان عناية شديدة بمواصلة حرب البيزنطيين. فمن وصاياه قبل وفاته قوله: "شذوا خناق الروم، فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم".[3] فاهتم بالأسطول، ووجه ضدهم ما صار يعرف بالصوائف والشواتي. كانت أكبر الغزوات ضد الروم في عهده سنة 49هـ/ 669 جهَّز فيها جيشا بريا وبحريا كان على قيادته الأمير سفيان بن عوف، وفيه من الصحابة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأيوب الأنصاري الذي استشهد على أسوار القسطنطينية سنة 49هـ/669م، ثم كان حصار السبع سنوات (54-60هـ/ 674-679م). ثم

---

[1] لقبال موسى، المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 1981. ص 26.

2 طه عبد المقصود، مرجع سابق، ص 5.

3 تاريخ خليفة بن خياط، ص 230.

الحصار الثالث للقسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبد الملك (97-98هـ/715-716م) غير أن العملية انتهت بالفشل في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك.[1]

اهتم الخليفة معاوية بتحصين الثغور الشمالية عند السفوح الجنوبية الشرقية لجبال طوروس لمواجهة الخطر البيزنطي والانطلاق منها،[2] واسترد جزيرة رودس عام 52هـ/672م بعد أن عاد إليها الروم في عهد خليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم جزيرة كزيكوس أو أرواد عام 54هـ/674م التي منها أدار المسلمون الحصار الثاني للقسطنطينية 54-60هـ/ 674-679م.[3]

- **جبهة المغرب والأندلس**

بعد فترة توقف طويلة للفتوحات في بلاد المغرب عاد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ليهتم بتسيير الفتوحات إلى هذه البلاد، باعتبارها امتداداً طبيعياً لمصر والضفة الشرقية للبحر الأبيض. فولى معاوية بن حديج مهمة الفتح في افريقية، غير أن الخليفة عزله عام 48هـ /668م وعيَّن بدلا منه عقبة بن نافع الفهري عام 50هـ/ 668م.[4]

كانت إنجازات عقبة بن نافع خلال هذه الفترة بناءه قاعدة القيروان بعد أن شيد قبلها معاوية بن حديج قاعدة جبل القرن القريبة من الساحل. ففي سهل الفسيح بقمونية اختار عقبة موقع المدينة الجديدة في موضع متوسط بين الساحل والجبل يحمي المدينة من خطر الأسطول البيزنطي. استغرق البناء خمس سنوات من 49هـ/667م إلى 54هـ/673م.[5] عُزل عقبة بن نافع بعد ذلك ووُليً أبو المهاجر دينار (55-62هـ/674-681م) الذي تمكن من التوسع في المغرب

---

1 طه عبد المقصود، مرجع سابق، ص 33، 34 ،37.

2 نفس المرجع، ص 30،32.

3 نادية محمود مصطفى: الدولة الأموية دولة فتوحات 41-132هـ/661-750م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة، 1417 هـ/1996م. ص 24.

4 طه عبد المقصود، مرجع سابق، ص 62.

5 نفس المرجع، ص 64، 66.

الأوسط.[1] ولما أعاد الخليفة يزيد بن معاوية عقبة بن نافع إلى منصب القيادة سنة 62هـ/ 683م. قام هذه المرة بحملته المشهورة التي أوصلته إلى المحيط وبلاد السوس، لكن بعد معركة تهودة واستشهاد عقبة بن نافع تراجع الفاتحون سنة 64هـ/683م من القيروان نحو برقة.[2]

تجددت عمليات الفتح في إفريقية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان بتعيين الأمير زهير بن قيس البلوي قائدا للفتح سنة (69هـ-71هـ/688م-689م) فتمكن من استرجاع القيروان والانتصار على ملك البربر كسيلة.

في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان تولى قيادة الفتح الأمير حسان بن النعمان الغساني (73-85هـ/ 693-705م) بعد استشهاد زهير بن قيس البلوي وهو في طريق العودة إلى المشرق.

تمكن بعد خمس سنوات من المعارك الانتصار على ملكة البربر الكاهنة وبَسْطِ سلطة الدولة الأموية،[3] ثم عزله الخليفة وعيَّن مكانه الأمير موسى بن نصير 85-91هـ/704-710م الذي أكمل إنجازات حسان بن النعمان ببسط سلطة الدولة الأموية.[4] وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-716م) وصل موسى بن نصير إلى مدينة طنجة سنة 90 هـ/709م، ففتحها ووضعَ فيها حامية من 12 ألف رجل بقيادة طارق بن زياد. وبدأت أنظار المسلمين تتجه إلى الأندلس.

كان أول عمل عسكري بأرض الأندلس الحملة استطلاعية التي قادها طريف بن مالك ب 500 فارس، ثم في شهر رجب سنة 92 هـ/ 711 م نزل طارق بن زياد بنحو 7 آلاف مقاتل أمدَّه بعد ذلك الأمير موسى بن نصير 5 آلاف، انتصر بهم في معركة وادي لكة أو وادي برباط أو شذونة التي دامت ثمانية أيام من 28 رمضان إلى 5 شوال/19-26 جويليا711م.كان الانتصار

1 طه عبد المقصود، مرجع سابق، ص 69.

2 نفس المرجع، ص 67،68. بإيعاز من والي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري عزل عقبة بن نافع وولى مكانه أبو المهاجر دينار.

3 نفس المرجع، ص 79، 80 ،81.

4 نفس المرجع، ص 87.

فيها للمسلمين على القوط. بعدها اكتسح الجيش الإسلامي باقي بلاد الأندلس فاتجه شمالا وفتح مدنا عديدة مثل إستجة ومورور وإلبيرة وقرطبة وغرناطة، ثم فتح طليطلة عاصمة مملكة القوط سنة 93هـ/712م الواقعة وسط الأندلس.[1]

بعد بسط السيطرة الإسلامية على كل بلاد الأندلس باستثناء إقليم جليقية في الشمال الغربي، توجهت أنظار المسلمين إلى بلاد الفرنجة وراء جبال البرانس. انطلاقا من الثغر الأعلى الأندلسي فبدأت حملاتهم التي أوصلتهم إلى وسط فرنسا حاليا. قادها عدد من القادة المسلمين:

حملة السمح بن مالك الخولاني (100-102هـ/712- 714م): أول من غزا بلاد الفرنجة أو بلاد غالة من ولاة الأندلس. ففتح أربونة، واتخذها قاعدة للفتح وراء جبال البرانس، ثم طولوشة (تولوز)، ثم توغل في إقليم أكيتانية"، غير أنه استُشهد في موقعة بالقرب من طولوشة سنة 102هـ/714م، فتولى القيادة مؤقةً عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي.[2]

حملة عنبسة بن سحيم الكلبي سنة 107هـ /725م: تولى عنبسة بن سحيم الكلبي الولاية سنة 103هـ/721م. في سنة 107هـ/725عبر إلى بلاد غالة ففتح إقليم بروفانس، واتجه شرقا حتى بلغ نهر الرون ثم صعد مع النهر شمالا حتى بلغ مدينة ليون، وتوغل حتى صار على بعد 70كلم من جنوب باريس لكنه استشهد في إحدى المعارك، فخلفه عذرة بن عبد الله الفهري الذي حكم حتى ربيع الأول سنة 110هـ/730م.[3]

حملة الأمير عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي 114هـ/ 732م: توالى على الأندلس سبعة من الولاة بين سنتي "107-112هـ/ 725-730م، ثم وُلِّي عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي في صفر 112هـ/730م. عبر جيش المسلمين في أوائل سنة 114هـ/ 732م جبال البرانس نحو بلاد غالة

1 طه عبد المقصود، مرجع سابق، ص 91، 92، 93 ،100.

2 ابن الفرضي (عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت403هـ/ 1012م)) تاريخ علماء الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408 هـ /1988 م. ج1، ص230؛ طه عبد المقصود، مرجع سابق، ص 104.

3 المرجع السابق، ص ،104، 105،106.

من طريق بنبلونة مكتسحا دوقية أكيتانية. وواصل تقدمه حتى أشرف على نهر اللوار. وعلى بعد 20 كلم من تور أو بواتي اصطدم جيش عبد الرحمن الغافقي بجيش الفرنجة الذي كان يقوده شارل مارتل.

كانت معركة بلاط الشهداء أو تور قاسية بين القوتين في أواخر شعبان 114هـ/ أكتوبر 732م[1] أنهزم فيها المسلمون واستشهد فيها الأمير عبد الرحمن الغافقي، وانسحب المسلمون إلى أربونة وتحصنوا بها، وواجهوا حصار الفرنجة حتى أرغموهم على رفع الحصار، والارتداد إلى الشمال.[2] ولم يتمكن المسلمون بعد ذلك من التوسع في بلاد غالة وإن بقوا في سجال مستمر مع الفرنجة وحلفائهم،[3] حافظ المسلمون على مدينة أربونة جنوب غربي فرنسا تحت الحكم الإسلامي نحو عشرين. حتى سنة137هـ /755م تحالف القوط مع الفرنجة وحُوصِرَتْ المدينة إلى أن سقطت سنة 142هـ /759م. فانسحب المسلمون إلى ما وراء جبال البرانس في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل.[4]

1 طه عبد المقصود، مرجع سابق، ص 106 ،107 ،108.

2 عبد الله عنان محمد، دولة الإسلام في الأندلس، ط 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417 هـ/ 1997 م. مج 1 ص 105.

3 نفس المرجع، ج1 ص 112 فما بعدها.

4 نفس المرجع، ج ص 137.

الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا والأندلس[1]

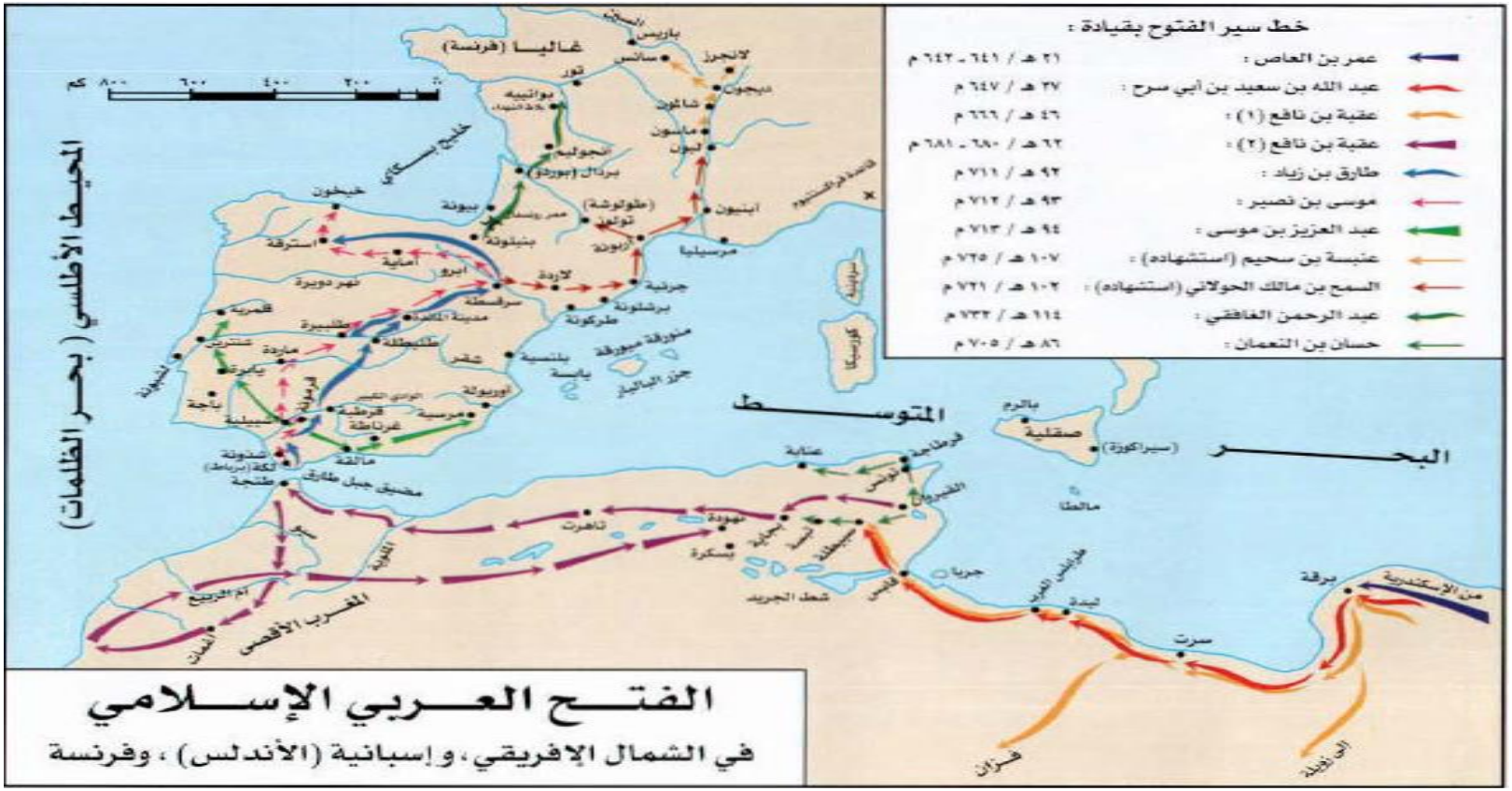

[1] أبو خليل شوقي، مرجع سابق، ص 46.

- **جبهة المشرق:**

منذ عهد معاوية بن أبي سفيان إلى سنة 86هـ/705م غزا بلاد الشرق عدد من القادة المسلمين منهم عبيد الله بن زياد، وسعيد بن عثمان بن عفان، والمهلب بن أبي صفرة وولديه يزيد والمفضل. وتحققت الانتصارات الكبرى في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان. وكان للحجاج بن يوسف الثقفي والي العرق والمشرق سنة 75هـ/694م دور كبير في نجاحها، فقد تَحمَّل بعبء هذه الفتوح في ولايته ثلاثة من قادة المشهورين، وهم المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وقتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد ابن القاسم الثقفي.

فتوحات الأمير المهلب بن أبي صفرة: قام المهلب بن أبي صفرة بفتوح واسعة فيما وراء النهر (أي بين نهري سيرداريا وآمور داريا في دول كزاخستان وأوزباكستان وكرغيزيا)، وفتح مدينة كش في مملكة الصغد بطاجكستان حاليا. واستطاع المهلب وأبناؤه في مدة عامين تقريبا أن يعيد هيبة المسلمين في المنطقة، وإن كان لم يوفق في إقامة قواعد ثابتة هناك.[1]

الفتوحات الحاسمة للأمير قتيبة بن مسلم الباهلي: بدأت المرحلة الحاسمة في الفتح مع تسلم الأمير قتيبة بن مسلم الباهلي الذي تولى إقليم خراسان وبلاد الشرق سنة 85هـ/704م، فظل واليا عليها إلى سنة 99هـ/717م. لقد مرت خطوات الأمير قتيبة بن مسلم في فتح تلك البلاد على مدى عشر سنوات 86-96هـ /705-714م عبر مراحل أربع، حقق في كل منها فتح ناحية واسعة فتحا نهائيا، وثبت فيها أقدام المسلمين والإسلام فيها. هذه المراحل الأربعة هي:

- المرحلة الأولى 86-87هـ/705-706م: أخضع فيها الأمير قتيبة بن مسلم إقليم طخارستان الواقع على ضفتي نهر جيحون شمال أفغانستان. الذي لم يكن قد استقر أمره للمسلمين تماما منذ أن فتحه الأمير الأحنف ابن قيس في خلافة عثمان بن عفان.
- المرحلة الثانية 87-90هـ/706-708م: فتح فيها إقليم بخارى بأوزبكستان.

1 أسعد طلس، المرجع السابق، ج4ص 108 ،109؛ طه عبد المقصود، المرجع السابق، ص 10.

- المرحلة الثالثة 91-93هـ/709-712م: أكمل فيها فتح حوض نهر جيحون وإقليم سجستان سنة 92هـ/711م، وإقليم خوارزم سنة 93هـ/712م، وسمرقند من المدن الكبرى ما وراء النهر كلها.
- المرحلة الرابعة 94-96هـ/713-714م: عبر فيها الأمير قتيبة نهر سيحون (سير داريا)، وفتح ممالك الشاش التركية ما وراء النهر، وأشروسنة وفرغانة في أوزباكستان حاليا حتى وصل إقليم كاشغر تركستان حاليا التي جعل منها قاعدة إسلامية، وأرض الصين، في إقليم سنكيانج، غير أن مشروعه لفتح الصين توقف مع وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 95هـ/713م، ثم الخليفة الوليد بن عبد الملك ثم سنة96هـ/714م، لكنه أجبر ملك الصين على دفع الجزية.[1]

فتوحات محمد بن القاسم في بلاد السند: تتلخص مراحل الفتح التي قام بها الأمير محمد بن القاسم في الخطوات الآتية:

- اتخاذ الأمير محمد بن القاسم المنطقة الممتدة من شيراز إلى مكران قاعدة للفتح، ثم انطلق لفتح قنزابور ثم أرمائيل.
- تقدم الجيش الأموي لفتح الديبل قريب من مدينة كراتشي في باكستان، وفتحها بعد قتال عنيف.
- اتباع الأمير محمد بن القاسم سياسة الصلح مع السكان، مع مواصلة المسير حتى بلوغ نهر مهران، فعبر النهر ثم هزم ملك السند سنة 93هـ/711م فصارت بلاد السند جزءا من الخلافة الأموية.
- عبوره نهر بياس وفتح مدينة الملتان في إقليم البنجاب. ثم عقد الصلح مع أعيان المدينة. رغم وصول خبر وفاة الحجاج واصل ابن القاسم فتح بلاد السند، فأخضع إقليم الكيرج على حدود بلاد. [1]

1 أسعد طلس، المرجع السابق، ج4ص 108 ،109؛ طه عبد المقصود، المرجع السابق، ص 12، 13 ،14.

- كان محمد بن القاسم يتطلع إلى فتح إمارة الغانج غير أن الخليفة سليمان بعد موت أخيه الوليد ووالي العراق الحجاج بن يوسف عزله فتوقف الفتح.[1]
- لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة (99-101هـ/717-719م) كاتب ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام، فاستجاب ملوك وأهل البلاد لدعوة الخليفة الأموي دون حرب.[2]

اتضح في الأخير أن الدولة الأموية حققت إنجازا كبيرا بتوسيع رقعة الإسلام في ثلاث قارات، لم تتمكن أي دولة إسلامية بعدها من تحقيقه.

1 طه عبد المقصود، مرجع سابق، ص 18، 19، 20.
2 نفس المرجع، ص 20.

البلدان المفتوحة في الشرق[1]

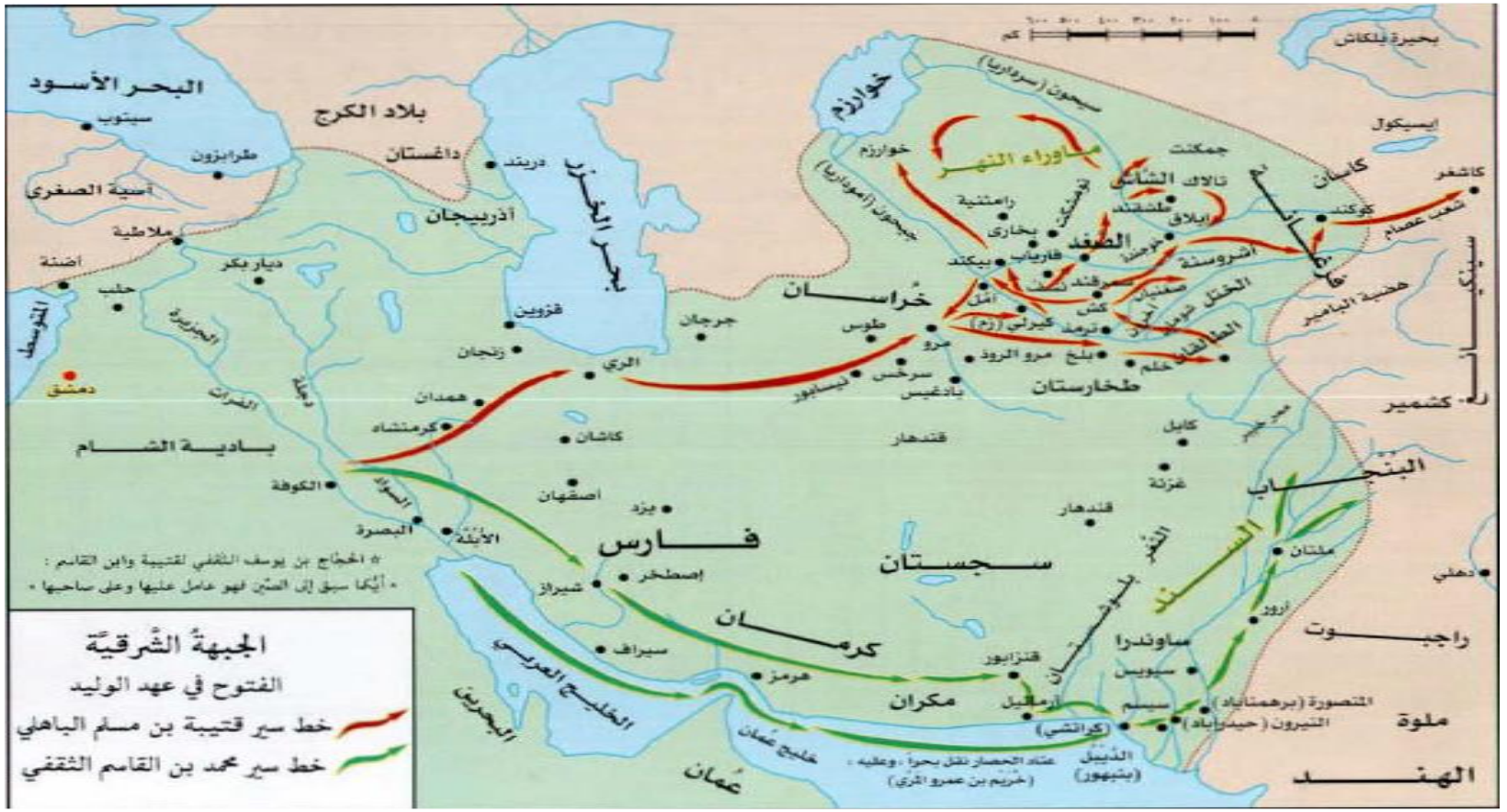

[1] أبو خليل شوقي، مرجع سابق، ص 45.

5- الحياة الأدبية والعلمية في العهد الأموي.

- **الحياة الأدبية.**

تأثر أدب صدر الإسلام أولا بالقرآن الكريم الذي كان أول كتاب عند عرب الحجاز والجزيرة. لقد نزل القرآن بلغة العرب لهجة قريش. فهذب ألفاظهم في الشعر والنثر والرواية. كانت السُنَّة النبوية القولية المصدر الثاني الذي ساهم في إلهام الأدباء في صدر الإسلام.[1]

نمت في العرب في فترة صدر الإسلام فنون جديدة كأدب الزهد والتاريخ والرواية رغم استمرار عطائهم في المدح والهجاء والتفاخر والغزل والأمثال والرواية، إضافة إلى براعتهم في الشعر والخطابة ورواية الأساطير في عهود ما قبل الإسلام.

- **الشعر**: شهد صدر الإسلام نبوغ شعراء مخضرمين، ثم شعراء لم يعرفوا حياة الجاهلية. لقد كان مدح النَّبي ﷺ والرَّد على المشركين والتفاخر بالإسلام من أهم مواضيع الشعر. كما تناول الشعر مواضيع الحماسة في الحروب، ورثاء الشهداء، وتخليد المآثر والملاحم الجهادية والفتوحات، والدعوة إلى عقيدة التوحيد والأخلاق الفاضلة، وتهذيب أخلاق الأفراد والمجتمع. في نفس الوقت اسْتُعْمِلَ الشعر في فترات الفتن لمواجهة الخصوم والدفاع عن المذهب العَقَدي والسياسي.[2]

من الشعراء المخضرمين حسان بن ثابت، وكعب بن زهير بن أبي سلمى المازني (ت26 هـ / 645م)، ولَبيد بن ربيعة بن مالك العامِري (ت41 هـ /661 م)، وجرول بن أوس العبسي (**ت** نحو 45 هـ / نحو 665 م) المشهور بالحطيئة والنابغة الجعدي[3] ومن شعراء صدر الإسلام المشهورين جرير بن عطية الكلبي التميمي (28-110هـ /640-728 م)،[4] والفرزدق همام بن غالب بن

1 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ط7، دار المعارف، مصر، 1972. ج 2، ص 32، 41.

2 نفس المرجع، ج2 ص42 فما بعدها

3 نفس المرجع، ج2ص68 فما بعدها

4 الزركلي خير الدين بن محمود، (ت 1396هـ/1976م)، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002م. ج2 ص 119.

صعصعة الدارمي التميمي (نحو110هـ / 728م).[1] والأخطل غياث التغلبي (19-90 هـ/640-708م). والثلاثة متفق على أنهم أشعر أهل عصرهم.[2]

- **الخطابة.** واكبت الخطابة مواضيع الشعر في الإقناع، والتأثير، والدعوة، والحث على الجهاد وتحميس المقاتلين في المعارك، والترغيب والترهيب، والوعظ والإرشاد، والرد على الخصوم، إضافة إلى خطب إعلان البيعة والولاء للخليفة.[3]

- **الكتابة:** اهتم المسلمون بالكتابة، فاتخذ النَّبي ﷺ الكُتَّابَ لتدوين ما كان ينزل عليه من القرآن. وبلغ عدد كتابه 43 كاتب منهم عثمان بن عفان وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان. بعد وفاته ﷺ اتخذ الخلفاء الكتاب في مختلف الأعمال أهمها جمع القرآن الكريم، وكتابة الدواوين ووثائق الصلح، والرسائل بمختلف أغراضها.[4]

❖ الحياة العلمية.

كان أساس النشاط العلمي في صدر الإسلام التركيز على العلوم النقلية. تتمثل في نشر العقيدة الإسلامية القائمة على التوحد، وتعليم النَّاس أحكام الدين وتشريعاته. لهذا اهتم الصحابة والتابعون من بعدهم بكل ماله علاقة بالقرآن الكريم والحديث النبوي. أما العلوم الأخرى كالطب والهندسة والفلك وغيرها فأكثر من اشتغل بها العجم.

- **انتشار علم الصحابة في الأمصار:** توزع الصحابة الحافظون للقرآن الكريم والسنة النبوية في الأمصار المفتوحة خاصة في العراق والشام، ومنهم من بقي في الحجاز يعلمون النَّاس القرآن والحديث النبوي حفظا وتفسيرا. فنشأ على أيديهم جمع هائل من العلماء التابعين.

---

1 الزركلي، مرجع سابق، ج8 ص89.
2 نفس المرجع، ج5 ص123.
3 شوقي ضيف، المرجع السابق، ج2 ص108 فما بعدها
4 نفس المرجع، ج2ص451 فما بعدها.

- في المدينة اشتهر نافع أبو عبد الله الديلمي مولى عبد الله بن عمر (117 هـ/735 م). كان متفقا على رئاسته في الفقه كثير الرواية للحديث، لا يُعرف له خطأ في جميع ما رواه من الحديث، أرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها.[1] نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني القارِئ (ت169هـ /785 م) أصله من أصبهان أحد القراء السبعة المشهورين، انتهت إليه رئاسة القراءة في المدينة[2]. وربيعة الرأي ربيعة بن فرّوخ التيمي بالولاء، المدني (136 هـ / 753 م) شيخ الإمام مالك، إمام حافظ فقيه مجتهد، يأخذ بالقياس فيما لا نص فيه فُعرف بربيعة الرأي من كبار حفاظ السنة وصاحب الفتوى بالمدينة. توفي بالهاشمية من أرض الأنبار[3]. وسليمان بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين (107 هـ/ 654 -725 م). أبوه فارسيا كان سعيد بن المسيّب إذا أتاه مُسْتَفْتٍ يقول له: "اذهب إلى سليمان بن يسار فإِنَّه أعلم من بقِي اليَوم".[4] وكان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وهم عُرْوَة بن الزبير (ت 93 هـ /712 م) وسَعِيد بن المسَيَّب (ت 98 هـ /716 م) وعُبَيْدَ الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهُذَلي،[5] وعُبيْد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ت 37 هـ/ 657 م)،[6] وعُرْوَة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي (ت 93 هـ / 712 م)،[7] والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت 107 هـ / 725 م).[8]

---

1 الزركلي، المرجع السابق، ج8 ص5.

2 نفس المرجع، ج8 ص5، 6.

3 نفس المرجع، ج3ص 17

4 ابن سعد، المصدر السابق، ج3 ص384؛ نفس المرجع، ج3ص137، 138.

5 نفس المرجع، ج4 ص 195.

6 نفسه.

7 الزركلي، مرجع سابق، ج5 ص 181.

8 نفس المرجع، ج4 ص 226.

- في مكة اشتهر عكرمة مولى عبد الله بن عباس (ت 105هـ / 723 م) كان أعلم الناس بالتفسير، يجتمع إليه الناس حتى يصعدون فوق الكعبة،[1] ومجاهد بن جبر المكيّ، مولى بني مخزوم (ت 104 هـ/722م) من كبار الرواة والتفسير عن ابن عباس، حتى كان يقول: "عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة يقف عند كل آية أسأله، فيم نزلت وكيف كانت". وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة.[2] وعطاء بن أبي رباح مولى بني فهر (ت 114هـ/ 732 م) كان عبدًا أسوداً، وُلِدَ في جندٍ باليمن ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها.[3] انتهت إليه الفتوى بمكة وكان أعلم الناس بمناسك الحج.[4]

- في الكوفة اشتهر سعيد بن جبير مولى لبني والبة بن الحارث بن خزيمة (ت 95 هـ / 714م) أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر.[5]

- في البصرة الحسن بن يسار البصري، كان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار (ت110هـ/728م) أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. وُلد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب رضي الله عنه. كان الحجاج يقف على حلقته يستمع إليه لبلاغة كلامه، وقد سَلِمَ من أذاه.[6]

- في الشام أبو عبد الله مكحول بن أبي مسلِم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله، الهذلي بالولاء (ت 112 هـ /730 م) كان أعلم أهل الشام فقها وحديثا.[7] قال مكحول: "كنتُ لِعَمْرِو بن سعيد بن العاصِ، فوهبني رجل من هذيل بمصر، فأنعم علي بها، فما خرجت منها حتى ظننت أنه

---

1 ابن سعد، المصدر السابق، ج5 ص287، 289. ج4 ص244.
2 ابن سعد، نفس المصدر، ج5ص 466. نفس المرجع، ج5 ص278
3 نفس المرجع، ج4 ص 235.
4 ابن سعد، المرجع السابق، ج2ص 386.
5 نفس المصدر، ج 6 ص 256؛ الزركلي، المرجع السابق، ج3 ص 93.
6 نفس المرجع، ج2ص 225، 226.
7 الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص 284.

ليس بها علم إلا وقد سمعته، ثم قدمت المدينة، فما خرجت منها حتى ظننت أنه ليس بها علم إلا وقد سمعته، ثم لقيت الشعبي فلم أر مثله".[1]

- اعتمد الفاتحون في ميدان العلوم العقلية على ميراث الشعوب التي اعتنقت الإسلام. في اللغة كان أبو الأسود الدؤلي أول من اشتغل بالنحو في العهد الأموي.[2] وكان الأمير الأموي خالد بن يزيد أول من عني بنقل الطب والكمياء إلى العربية مستعينا ببعض اليونانيين وغيرهم ومن الأجناس.[3] قس على ذلك علم النجوم وفنون العمارة.[4]

6- النظم الإدارية في العهد الأموي.

اتخذ معاوية بن أبي سفيان من مدينة دمشق مقراً له وعاصمة لدولته، وأخذ عن البيزنطيين بعض مظاهر الحكم والإدارة، فاتخذ سريرا وحراسًا، وبني له مقصورة خاصَّة في المسجد، كما اتخذ لنفسه حاجبا. وسار على طريقه كل من حكم الدولة الأموية بعده. وعرف عنه وعن خلفاء بني أمية، خاصة الكبار منهم، مثل عبد الملك بن مروان، حرصهم على حُسن إدارة دولتهم والسهر على مصالح الرعية لينتظم لهم أمر الملك، فلم يدخروا وسعا في اقتباس الأساليب الإدارية النافعة لتطبيقها في دولتهم وإنشاء الدواوين والأجهزة لإدارة مرافق الدولة.[5]

وقد تابع معاوية ما بدأه عمر بن الخطاب في وضع التنظيمات الإدارية، غير أنه استعان ببعض النصارى، ممن عملوا في الإدارة البيزنطية ليستفيد من خبرتهم، ولذلك شهد التنظيم الإداري في عهده تطورا يتماشى مع التغيير الذي طرأ على نظام الحكم. وإضافة إلى ديوان الخراج وديوان الجند، وديوان الرسائل التي كانت موجودة قبله، فقد انصبت جهوده على تنظيم مؤسستين هما:

---

1 ابن سعد، مصدر سابق، ج7، ص 453.

2 حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج1ص 411، 412.

3 نفس المرجع، ج1ص 416، 418.

4 نفس المرجع، ج1ص 418، 419، 420.

5 طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة الأموية، ص 40.

ديوان الخاتم: نشأ بعد تزوير وقع في رسالة أرسلها معاوية إلى أحد عماله، فكان هذا الديوان يحفظ نسخة من رسائل الخليفة وأوامره بعد أن تختم النسخة الأصلية بالشمع وتحزم.[1] كما كان يقوم هذا الديوان باستقبال التقارير التي ترفع إلى الخليفة من الولاة.[2]

ديوان البريد: ومهمته الرئيسية والأولى نقل الأخبار والرسائل بين العاصمة والولايات أو بين الولايات، كما كان يتكفل بنقل بعض الحاجات والمواد للدولة.[3] وكان موظفو هذا الديوان عيونا للخليفة يراقبون الولاة والعمال وأعمالهم ومسلكهم ويرفعون التقارير إلى الخليفة لكي يكون مطلعا على أحوال الولايات وما يحدث فيها.[4]

ويعتبر عبد الملك بن مروان المؤسس الحقيقي لنظم الدولة الأموية، فرتب أمور الضرائب والخراج وعرَّب الدواوين وأنشأ دواوين جديدة ومن أعماله الكبرى سك الدينار الأموي وأحكم تنظيم البريد وتعريبه.[5] ومن الدواوين ظهرت مع التوسع التدريجي للأعمال، وتعدد الحاجات بتطور الأحوال:[6]

ديوان الخراج: يتولى تنظيم الخراج وجبايته والنظر في مشكلاته.

ديوان الجند: وكان عمر بن الخطاب أول من أنشأه مع توسع الفتوحات الإسلامية، وهو يحفظ أسماء الجند وأوصافهم وأنسابهم وأعطياتهم.

ديوان الرسائل: يقوم بتحرير رسائل الخليفة وأوامره في الداخل وبمكاتباته مع الخارج.

ديوان النفقات: وينظر في المصروفات كافة.

ديوان الصدقة: ينظر في مواد الزكاة والصدقات وفي توزيعها بين مستحقيها.

---

[1] الدوري عبد العزيز، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008. ص 169.

[2] طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة الأموية، ص 40.

[3] الدوري عبد العزيز، المرجع السابق، ص 170.

[4] طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص 41.

5 أسعد طلس، المرجع السابق، ج4 ص 193، 194، 194.

[6] الدوري عبد العزيز، المرجع السابق، ص 169-170.

ديوان المستغلات: ينظر في أموال الدواة غير المنقولة من أبنية وحوانيت وعمارات وقصور.

ديوان الطراز: مهمته الإشراف على المصانع التي تنسج الملابس الرسمية والشارات والأعلام.

قسمت الدولة في العهد الأموي إلى خمس ولايات: الشام حاضرتها دمشق، والحجاز واليمن، والعراقان العربي والعجمي وحاضرتهما الكوفة، والبصرة تتبعه خرسان وباقي الشرق إلى السند، وولاية مصر وحاضرتها الفسطاط، والجزيرة وأرمينية وأذربيجان وعاصمتها الموصل، وبلاد المغرب وعاصمته القيروان ثم أضيفت لها الأندلس وحاضرتها قرطبة.[1]

7- الحياة الاجتماعية في العهد الأموي.

كان المجتمع في عهد الأموي يعيش بشكل عام حياة بسيطة يستثنى منه بعض الفئات كالطبقة الحاكمة. لكن مع توسع الفتوحات في العصر الأموي أخذ العرب يقتبسون تدريجيا عادات كثير من الشعوب المحلية، كاستعمال الأدواتذ، وكيفية الطهي، وتناول الطعام كاستعمال الشوكة والملاعق والجلوس على الموائد والكراسي الخشبية. وإذا قورن العصر الأموي بعصر النبوَّة والخلفاء الراشدين فإنه تميز بالجنوح إلى حياة الترف في المناسبات، واقتناء الملابس الفاخرة عند الأغنياء. وستستفحل ظاهرة حياة الترف في العصر العباسي.[2]

8- الحياة الاقتصادية في العهد الأموي.

ازدهر الاقتصاد في عهد الدولة الأموية نتيجة الفتوحات التي وسعت من رقعة الدولة، وتوفر موارد مالية كبيرة. كانت هذه ا لإيرادات عبارة عن مداخيل الخراج، وأنواع الضرائب كالفيء والجزية، والعشور والغنائم. وعرفت التجارة ازدهارا كبيرا ينتشر نشاطها في نطاق ما كان يقع تحت سيادة الدولة من الأمصار وما جاورها من شعوب في المشرق والمغرب. عموما كان الاقتصاد بمختلف

1 أسعد طلس، المرجع السابق، ج4، ص 69.

2 حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج1 ص 431.

قطاعاته التجارة والزراعة والنشاط الحرفي مزدهرا.[1] وكان سوق المدينة هو مركز الحياة الاقتصادية، حيث لكل مدينة سوقاً مركزيا يحتل وسط المدينة أمام الجامع ودار الإمارة أو القصر، وتعددت الأسواق في بعض المدن، حيث كان لكل حرفة أو صناعة سوقاً خاصاً بها، وكانت هذه الأسواق تحت إشراف موظف يدعى "العامل على السوق" يعينه الخليفة، إذا كان يشرف على السوق المركزي في العاصمة، أو يعينه الأمير إذا كان يشرف على سوق في مدينة من مدن الأمصار.[2]

9- النظام القضائي.

كان القضاة يحكمون بما يوجبه عليهم اجتهادهم، وما وصلهم من أدلة شرعية من الكتاب والسنة، مستعينين باستشارة واستفتاء أهل العلم فيما أشكل عليهم من مسائل. كما دخل نظام الدواوين القضاء لاتساع نشاط القضاة وكثرة ما كان يُعرض عليهم من مسائل. وجعل معاوية للقاضي كُتَابًا يسجلون الأحكام ويكتبون لصاحب الشرطة والمحتسب كما فرَّق بين المظالم والقضاء والحسبة.[3]

وكان المحتسب يشرف على ضبط النظام العام، أما قاضي المظالم فكانت صلاحياته الفصل فيما استعصى من الأحكام على القاضي والمحتسب.[4]

---

1 نفس المرجع، ج 1، ص 476 فما بعدها.

[2] الدوري عبد العزيز، أوراق في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، 2009. ص 14-19.

3 حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ج4، ص 72-73.

4 نفس المرجع، ج1 ص 498 فما بعدها.

خاتمة

كان لبعثة النَّبي ﷺ أعظم الأثر على تاريخ العرب وتاريخ البشرية قاطبة. لقد أخرج الإسلام العرب، وكثير من الأمم من هامش التاريخ ومن مؤخرة الركب إلى الصدارة.

لقد وحد الإسلام العرب سياسيا فأصبحوا أمةً واحدة، وجعل منهم أول الدعاة إلى الإسلام.

تغيرت بفضل الدعوة الإسلامية حياة العرب وكثير من الأمم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وأخلاقيا ومعرفيا. وكونت مع العرب ما يعرف بالأمة الإسلامية.

يُعتبر عهد الدولة الأموية فترة هامة لكونها شكلت الاستمرار السياسي لدولة الخلفاء الراشدين، ورسمت النطاق الجغرافي للإسلام في أقصى اتساعه في التاريخ الإسلامي. هذا الاتساع الذي مازال يرسم لحد الآن خريطة المجال البشري والحضاري الإسلامي.

أفرزت فترة صدر الإسلام منذ مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان موروثا بقي يتفاعل مع التاريخ الإسلامي عَقَدِيًا وسياسيًا وفكريا واجتماعيًا وثقافيا.

الملحق رقم :01

الرسول يوادع اليهود[1]

قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل قال ابن هشام: المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال. قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تودي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه؛ وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين؛ وإن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم،

[1] ابن هشام، مصدر سابق، ج12 ص 121-123.

وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس؛ وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم؛ وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا، وإن المؤمنين يبئ بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله؛ وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه؛ وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسها، ولا يحول دونه على مؤمن؛ وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه؛ وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثا ولا يؤويه؛ وأنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة. ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد ﷺ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني ساعدة ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته؛ وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم؛ وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم؛ وإن بطانة يهود كأنفسهم؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم؛ وإنه لا ينحجز على ثأر جرح، وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظلم؛ وإن الله على أبر هذا؛ وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم؛ وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم؛ وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه؛ وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة؛ وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل،

وإلى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره؛ وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها. وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه؛ وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة. مع البر المحض؟ من أهل هذه الصحيفة. قال ابن هشام: ويقال: مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة. قال ابن إسحاق: وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم؛ وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

الملحق رقم :02

خطبة الوداع[1]

«أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا. إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن عمي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب –وكان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل– وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله. فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهم بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله.

أيها الناس، إنه لا نبي بعدي، ولا أمة بعدكم، ألا فاعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، طيبة بها أنفسكم، وتحجون بيت ربكم، وأطيعوا ولاة أمركم، تدخلوا جنة ربكم. وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس «اللهم اشهد». ثلاث مرات. وكان الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف.

[1] ابن هشام، مصدر سابق، ج2 ص 603.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر

1. ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت630 هـ))، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي.
2. ابن أعثم الكوفي أحمد بن محمد بن علي (ت نحو314هـ/926م): الفتوح، علي شيري، دار الأضواء، بيروت. 1411 هـ /1991م.
3. البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ.
4. البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود (ت 516هـ/1122م): معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، 1417 هـ/1997 م.
5. البَلَاذُري أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ/892م): فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988 م.
6. البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت 458هـ/1065م): دلائل النبوة، د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، 1408 هـ /1988 م.
7. الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (ت279هـ/892م): الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، تحقيق سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، 1413 هـ / 1993 م.
8. الجرجاني أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي (ت 371هـ/981م): المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي، تحقيق زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1410هـ.

9. الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن البيع (ت 405هـ/ 1014م): المستدرك على الصحيحين، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
10. الحَمِيدي محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي (ت488هـ/1095م): الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، علي حسين البواب، ط2، دار ابن حزم، بيروت، 1423هـ / 2002م.
11. ابن حبان محمد بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت354هـ/965م): السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق وتصحيح الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، ط 3، دار الكتب الثقافية، بيروت، 1417هـ/1996م.
12. ابن حبان محمد بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت354هـ/965م): صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المحقق: شعيب الأرنؤوط، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ / 1993.
13. ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت 852هـ/1448م): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ /1994م.
14. ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ): جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983/1403.
15. ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، 1983.
16. ابن خلدون (عبد الرحمن (ت 808هـ/1407م))، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، 2001.
17. ابن خياط بن خليفة أبو عمرو خليفة الشيباني العصفري البصري (ت 240هـ/854م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط2، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق 1976/1397.
18. ابن أبي داود أبو بكر، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت316هـ /928م): كتاب المصاحف، تحقيق محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، القاهرة، 1423هـ/2002م.

19. أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (ت 275هـ/888م): سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
20. الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. (ت 748هـ))، دول الإسلام، حققه، حسن إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، 1999.
21. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ/1347م): سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط 3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985 م.
22. ابن سعد محمد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت 230 هـ /845 م): الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.
23. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت911هـ/1505م): تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، 1425هـ /2004م.
24. الشهرستاني (أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت548هـ))، الملل والنحل، دار الفكر، بيروت، 2008.
25. الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت 360هـ): المعجم، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1994م
26. الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر (ت 310هـ/922م): تاريخ الرسل والملوك، ط 2، دار التراث، بيروت، 1387 هـ/1967م.
27. ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله أبو القاسم المصري (ت 257هـ/870م): فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، 1415 هـ.
28. ابن عبد ربه أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي (ت 328هـ/939م): العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
29. ابن عذارِى المراكشي (ت 695 هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط 2، بيروت، 1980.
30. ابن الفرضي عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت403هـ/ 1012م): تاريخ علماء الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408 هـ /1988م.

31. ابن قتيبة الدينوري (محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ))، الإمامة والسياسة، تحقيق الأستاذ علي شيري، دار الأضواء، بيروت، 1990.
32. ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ/889م): المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992 م.
33. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت 774هـ/1370م): البداية والنهاية، دار الفكر، 1407هـ/1986م.
34. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت 774هـ/1370م): السيرة النبوية من كتاب البداية والنهاية لابن كثير، عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1395 هـ / 1976 م.
35. ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ/806م): سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د ت ن).
36. المسعودي أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت 346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، 1409هـ/1988.
37. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري)، دار صادر، بيروت، (د ت).
38. المقري (احمد بن محمد التلمساني (ت 986هـ))، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.
39. الكلبي هشام بن محمد بن السائب (ت 240هـ/854م): كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1995.
40. الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ))، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989.
41. ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ): السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 2، 1375هـ/1955 م.

42. الواقدي محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله (ت207هـ/822): الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1410 هـ / 1990 م.
43. الواقدي محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله (ت207هـ/822): فتوح الشام، دار الكتب العلمية، 1417هـ /1997م.
44. وكيع أبو بكرٍ محمد بن خلف بن حيان (ت306هـ/918م): أخبار القضاة، صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، مكتبة المدائن، الرياض، 1366هـ/1947م.
45. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ))، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2008.
46. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن، 1883.

ب- المراجع

1. أحمد أبو ضيف مصطفى، دراسات في تاريخ الدولة العربية عصور الجاهلية والنبوة والراشدين والأمويين، (1-132هـ/622-749م)، دار النشر المغربية، ط 4، الدار البيضاء 1986.
2. أمين أحمد، فجر الإسلام، ط 11، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1975.
3. البوطي محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية، ط 10، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991.
4. بيضون إبراهيم، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.
5. التميمي مهدي حسين، موسوعة مقارنة الأديان السماوية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2004.
6. جعيط هشام، الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ط4، دار الطليعة، بيروت، 2000.
7. جورج ولتر: الهرطقة المسيحية: تاريخ البدع الدينية المسيحية، ترجمة جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الفارابي، بيروت، 2007.
8. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقي، 1422هـ/ 2001م.

9. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، دار الجيل، بيروت، 1996.
10. حسن علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام الجاهلية – الدولة العربية –الدولة العباسية، مكتبة النهضة المصرية، د ت، د م.
11. حوراني ألبرت، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة نبيل صلاح الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997.
12. خالد كبير علال: بحوث حول الخلافة والفتنة الكبرى خلال العهد الراشدي، دار كنوز الحكمة الجزائر، 1430هـ/2009م.
13. خالد كبير علال: رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد عثمان بن عفان دراسة نقدية تمحيصية وفق منهج علم الجرح والتعديل، دار المحتسب، الجزائر، 1429هـ/2008 م.
14. خالد كبير علال: الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى، دار البلاغ، الجزائر، 1424هـ/ 2003م.
15. خالد كبير علال: مدرسة الكذابين في التاريخ الإسلامي وتدوينه، دار البلاغ، الجزائر، 1424هـ/2003م.
16. أبو خليل شوقي، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، ط 5، دمشق، 2002.
17. الدوري عبد العزيز، أوراق في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، 2009.
18. الدوري عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.
19. الدوري عبد العزيز، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.
20. ديورانت ول وايريل، قصة الحضارة، عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 1992.
21. رستم سعد، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، الأوائل للنشر والتوزيع، ط 2، دمشق، 2005.
22. الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت 1396هـ/1976م): الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002 م.

23. الزهراني ضيف الله بن يحي: مصادر السيرة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 2010م.
24. سالم السيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1973.
25. سعد المرصفي: الجامع الصحيح للسيرة النبوية، مكتبة ابْن كثير الكويت، 2009م.
25. السيد مهدي سلامة: 10 محاولات لاغتيال النَّبي ﷺ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية، 2004.
26. سوسة أحمد، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001.
27. الشعراوي احمد إبراهيم، دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015.
28. الشنقيطي محمد بن المختار، الخلافات السياسية بين الصحابة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 3، بيروت، 2015.
29. ضيف شوقي: تاريخ الأدب العربي، ط7، دار المعارف، مصر، 1972.
30. طعيمة صابر، التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، ط 3، بيروت، 1991.
31. طقوش محمد سهيل: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، بيروت، 1424هـ-2003م.
32. طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة الأموية، ط6، دار النفائس، بيروت، 2010.
33. طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبيَّة: موجز عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة، (د ت ن).
34. طه عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.
35. العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، (دت).
36. عبد الله عنان محمد (ت1406هـ/1985م): دولة الإسلام في الأندلس، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417 هـ/ 1997 م.
37. عبد اللطيف عبد الشافي محمد، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي قراءة ورؤية جديدة، دار السلام، القاهرة، 2007.

38. علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963.
39. العمري أكرم: السيرة النبوية الصحيحة، ط 5، مكتبة العلوم والحكم.
40. بن عميرة محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
41. مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، (د ن)، (د م)، 2004.
42. عيسى رياض: الحزبية السياسية منذ قيام الاسلام حتى سقوط الدولة الأموية، دمشق، 1413هـ/1992م.
43. الغزالي محمد السقا: فقه السيرة، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، دمشق، 1427 هـ/2006م.
44. الفالوذة محمد إلياس عبد الرحمن: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، مطابع الصفا، مكة، 1423 هـ/2002م.
45. فياض عبد الله: محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، مطبعة الارشاد بغداد، 1967.
46. فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 1949.
47. لقبال موسى، المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 1981.
48. المباركفوري صفي الرحمن (ت 1427هـ/2006م): الرحيق المختوم (مع بعض التعديلات والزيادات من د علاء الدين زعتري وغسان محمد رشيد الحموي)، دار العصماء، دمشق، 1427هـ/2006م).
49. محمد أسعد طلس: تاريخ العرب، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1399هـ/1979م.
50. محمود عرفة محمود: العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995.
51. مؤنس حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د. ت.).
52. مؤنس حسين، موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996.
53. نادية محمود مصطفى (المشرف العام): الدولة الأموية دولة فتوحات 41-132هـ/661-750م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1417 هـ/1996م.

54. نعنعي عبد المجيد، الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.
55. هوما كاتوزيان، الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى، ترجمة أحمد حسن المعيني، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2014.
56. المغلوث سامي بن عبد الملك: الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ، ط 3، مكتبة العبيكان، 1425هـ/2004 م.

فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة	01
الفصل الأول: المجتمع العربي قبل الدعوة الإسلامية	
1. بلاد العرب	05
2. أصول العرب وأقسامهم	09
3. أقسام العرب	11
4. العصر الجاهلي	14
5. الحالة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام	20
الفصل الثاني: العهد النبوي	
1. شخصية النبي صلى الله عليه وسلم	23
2. مراحل الدعوة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ	30
4. أهم التطورات في المدينة حتى وفاته ﷺ	43
الفصل الثالث: عهد الخلفاء الراشدين	
1. مسألة الخلافة وشروطها	60
2. البيعة للخليفة أبي بكر الصديق	61
3. البيعة للخليفة عمر بن الخطاب	62
4. البيعة للخليفة عثمان بن عفان	63
5. البيعة للخليفة علي بن أبي طالب	64
6. الخلافة الراشدة التحديات والإنجازات	65
7. الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين	68
8. بعض أعمال الخلفاء في المجال الإداري	72
9. الفتنة الكبرى وقيام الخلافة الأموية سنة 41هـ/661م	73
10. آثار الفتنة الكبرى	86

الفصل الرابع: العهد الأموي

1. التعريف بمعاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية 89
2. أهم التطورات السياسية في العهد المرواني 93
3. أسباب سقوط الخلافة الأموية 95
4. الفتوحات الإسلامية في عهد الخلافة الأموية 99
5. الحياة الأدبية والعلمية في العهد الأموي 109
6. النظم الإدارية في العهد الأموي 113
7. الحياة الاجتماعية في العهد الأموي 115
8. الحياة الاقتصادية في العهد الأموي 115
9. النظام القضائي 116

خاتمة 117

الملاحق 118

قائمة المصادر والمر اجع 122